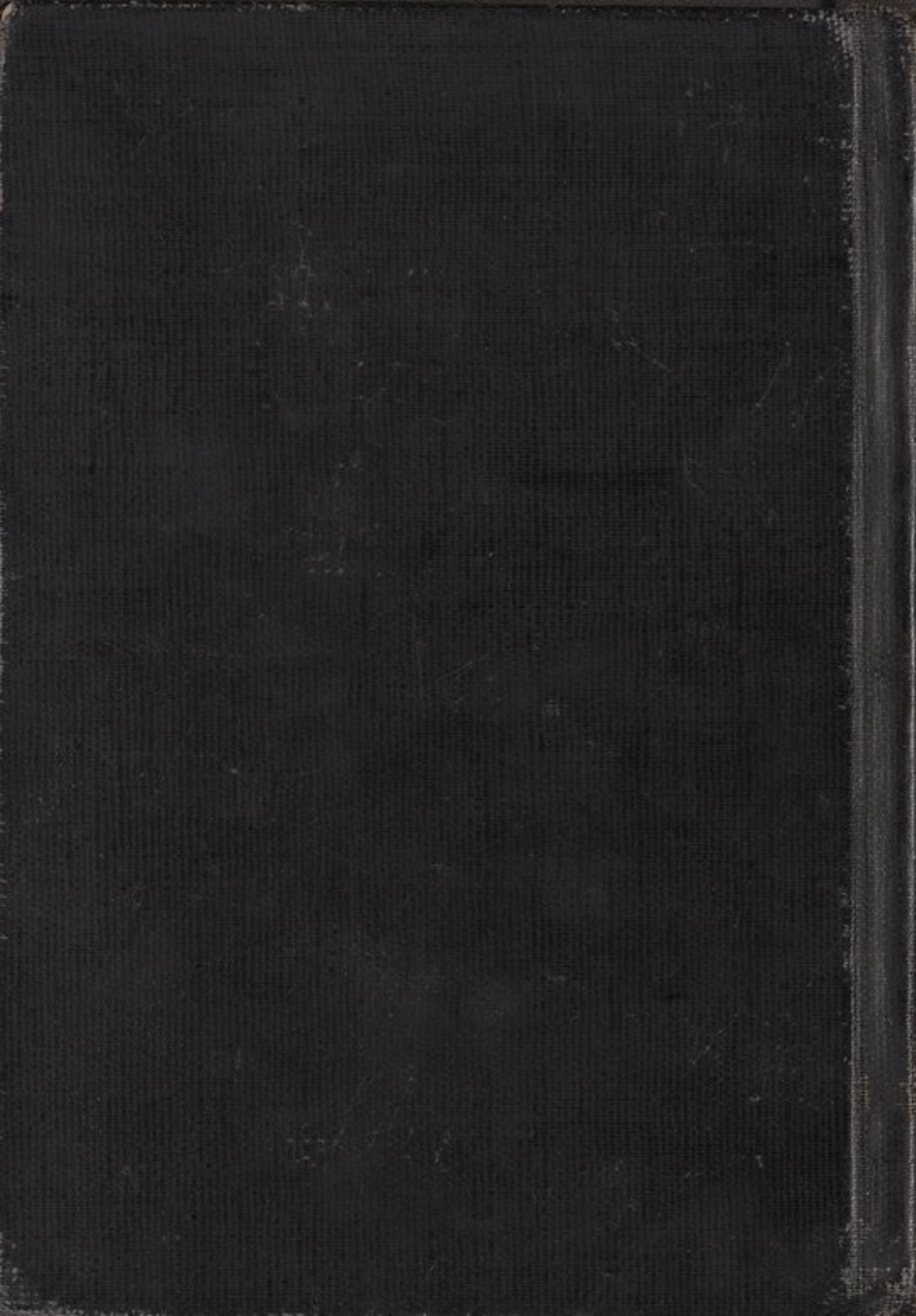






85



الشعر المنتور

تأليف

حميد اللازمية

مصلحة الاشغال — حكومة السودان

الطبعة الاولى

كل من محفوظ

Cat: 9 May 1953

— (3) — (4) —

طبعة الهلال بشارع نوبار نمرة ٤ : مصر

سنة ١٩٢٢



المفضل نسيم افندي خليل
المهدي اليه هذا الكتاب

الى

القلب الطيب الذي يتمني من المحبة الابوية

الى

روح والدي العزيز

وأهديه أيضاً

الى

رفله افندي ونسيم افندي خليل اللذين كانا لي يوماً

مكان الاب

المقدمة

ما هو الشعر؟ عرفه سيمونيدس « انه صورة تتكلم »
وأخذ مَنْ أتى بعده من الشعراء كلُّ يعرفه بكلمات فخمة تدل
على مقدار شعوره به في نفسه ، والحقيقة ، ان الشعر لا يحيط
به بيان ، فهو عصارة النفس ، وما اللفاظ الا لباساً ، وانما
يختلف هذا اللباس باختلاف تمكن الشاعر من اللغة . الا
أنَّ من النفوس الكبيرة التي لا يسعها ما في هذا العالم ، نراها
ترتفع الى ما وراء الطبيعة تناجي الافلاك في دورانها ، وتنظر
في اعماق الزمن بما لها من قوة ، آخذة باطراف ماضى
وما يستقبل ، أو تهبط الى الجحيم تسبر غور الهاوية ، ثم
تسكب ما يترأى لها من المعاني في قالب شعري ، لا يرقص
الا من كان بينه وبين روح الشعر صلة وصغيرة ، تكتفي
بما يقع تحت الشواعر والانتظار ، من مثل حادثة تلبسها ثوب
الفاظ ، فتريك الحقيقة خيالا ، والخيال حقيقة ، وتزيد في
تحسين الحسن وذم القبيح ، أو وصف طبيعي يحبب الينا

الجمال ، ويقربنا من الحب ، بل يقربنا من الله الذي هو
الحب والجمال

وكأني بالشعر روح اله غير منظور يجول في الارض
مترشاً ، فلا يسكن الا النفوس الكبيرة ، التي هي اكبر
من الشعر نفسه ، فليس كل من نظم شاعراً ، ولا كل ما
قيل شعراً ، « وما الكلام الموزون الذي لا افكار موزونة
وراءه ، الا ضرب من النثر التافه ، الذي يחדش الآذان ،
ويتعب الاذهان ، فضلاً عن أنه يهتك حرمة اللغة ويكسر
نواميس الكلام » فكم ممن يدعون الشعر ملأوا مجلدات
بكتابتهم ، فلم يبقوا ولم تبق مجلداتهم ، وانما الشعر ما
كتب لكل زمان ، تتناقله الاسماع جيلاً بعد جيل . لعمرى
ان الازمان لتدول جيلاً بعد جيل ، والممالك تتبدل دولة بعد
اخرى ، والشعر باق لا يفنى الا اذا فنيت بواعثه ، أين مدنية
المصريين ، وعظمة اليونان ، وشوكة الفرس ، ومجد العرب ،
لقد درست معالمها ، واندثرت آثارها ، الا افكارهم واقوالهم
فهي باقية ما بقي الجديان

لقد تبجح بعض عشاق المادة فاصبحوا ينادون ان
 الشعر قد دالت دولته ، وأن لا فائدة منه للمجتمع الانساني
 في عصر كهذا كثرت فيه المعقولات ، فأصبح العالم في
 احتياج الى العاملين اكثر من القوالين . على أن هذا الفكر
 لم تنضجه العقول في عصرنا الحاضر ، ولكنها نعمة قديمة
 ضرب عليها افلاطون في « جمهوريته » التي تخيلها لزعمه ان
 الشعراء حساسون كثيرون والشعور ، وانهم بعيدون عن
 الحقائق المحضة ، وهو قول ينكره عليه من له بعض الالمام
 بتاريخ علم الادب في العالم ، بل غريب ان يصدر هذا
 القول من مفكر كافلاطون ، لم يساعده على تصوير
 « جمهوريته » الاّ خيال الشعراء - فان الحركات السياسية
 التي قلبت نظام العالم والثورات الهائلة التي كانت سبباً في
 احياء بعض الامم ما نضجت الا بعد ان طبختها عقول
 الشعراء ، ففكر واحد من شاعر واحد كافٍ لان يغير
 مجرى افكار الامة

هذه فرنسا سبقت ثورتها الثورة الادبية ، وهل كان

النوار الآمن الكتاب والشعراء ، الذين حركوا فرنسا
بافكارهم قبل سيوفهم ؟ وذلك » لان الشاعر يجبلته أوسع
من سائر الناس خيالاً ، فالمثل الأعلى ارفع في ذهنه منه في
اذهان الناس ، وهو أطفهم حساً ، فألمه اشد من ألمهم ،
وانما يكون الألم على قدر بُعد البون بين المنتظر وبين ما
هو كائن ، فلا جرم ان كان الشاعر أفطن الناس الى النقص
واكثرهم سخطاً عليه . . فان كان للأمة جهاز عصبي ، فان
للشاعر العبقرى ادق هذه الاعصاب نسجاً ، وأسرعها لمس
تنبيهاً ، ولا غنى لجسم الأمة عن هذه الاعصاب المفرطة في
الاحساس لتزعج الأمة لأخذ الحيلة ، بينما تجد الاعصاب
الصلبة في صميم البلادة والانانية . فهل بعد ذلك يقول
قائل ان الشعر مطلوب لذاته

هذا هو الشعر وتأثيره في الشعوب ، أما تأثيره في
الفرد ، فهو ولا شك يجلو عن الصدر صداً ألهم ، فيشرح
القلب ، ويرقق العواطف ، ويهذب الاخلاق ، بل قل ان
الشعر هو الحياة ، لان الشعر هو الأمل ، وهل من الناس

من يستطيع أن يعيش دون الامل ، ألا ترى أن الناس
يعيشون عيشة شعرية ، ولولا ذلك لسم الإنسان الحياة .
ترى لو اكتفتك مصائب الحياة من كل جانب ،
وضربتك عصي السامة ، ونزلت بك مقادير الهم ،
وسدت عليك منافذ السرور ، ثم رافقت شاعراً في رحلة ،
وقرأت له شيئاً ألا ترى أن نوراً امامك يتسع فترى من
وراء هذه الغيوم منفذاً : الشعر قد انتهت دولته ! ما اغرب
هذا القول ! الشعر أدبر زمانه ! لكان هؤلاء القوم
يقولون ان الورد لن ينبت بعد ، وان الربيع قد اصعد آخر
انفاسه ، وان الشمس قد كفت عن الشروق ، وانك
تجول في مروج الارض فلا تصادف عندها فراشة تطير ،
وان القمر لا ينظر له ضياء بعد ، والبلبل لا يغرد ، والاسد
لا يزجر ، والذسر لا يحوم في الفضاء ، وان تلال الالب
والبرانيس قد اندكت ، وخلا وجه الارض من الكواعب
الحسان ! لكانهم يقولون ان لا أحد يبكي على قبر ، ولا
أم تحب وليدها ، وان انوار السماء قد خمدت ، وان قلب

الإنسان قد مات لا يشعر ولا يحس^(١) !!!

الشاعر :

من هو الشاعر ؟ الشاعر بطل الكلام ، فهو ترجمان الطبيعة الذي يترجم لنا عن محاسنها بأحسن الالفاظ وأرق العبارات . هو النبي الذي يرى ما لا يرى والفيلسوف الذي يدرك ما لا يدرك ، هو أحد أبطال التاريخ الذي لا تجود علينا الطبيعة به كل عام بل تتمخض به كل مئات من الاعوام ، هو الحامل لرسالة النور ، لأنه يعيش في النور ، كيف لا ! والمولود من الجسد جسد هو ، أما المولود من الروح فهو روح . هو كما عرفه جبراننا « حلقة توصل بين هذا العام والآتي منهل عذب تستقي منه النفوس العاطشة . شجرة مغروسة على ضفة نهر الجمال ذات ثمار يانعة تطلبها القلوب الجائعة ، بلبل يتنقل على اغصان الكلام وينشد أنغاماً تملأ خلايا الجوارح لطفاً ورقة . غيمة بيضاء تظهر

فوق خط الشفق ثم تتعاضم وتتصاعد وتملأ وبعده السماء
وتنسكب لتروي أزهار حقل الحياة . ملك بعثته السماء ليعلم
الناس الالهيات . نور ساطع لا تغلبه ظلمة ولا يخفيه مكياج
ملأته زيتاً عشروت آلهة الحب وابولون اله الموسيقى »

وحيد يرتدي البساطة ويتغذى بالالطف ويجلس على
احضان الطبيعة ليتعلم الابتداع ويسهر في سكرينة الليل
منتظراً هبوط الروح . زارع يبذر حبات قلبه في رياض
الشواعر فتنبت زرعاً خصيباً تستغله الانسانية وتتغذى به
هذا هو الشاعر الذي تجهله الناس في حياته وتعرفه
عند ما يودع هذا العالم ويعود الى موطنه العلوي . هذا الذي
لا يطالب من البشر الا ابتسامة صغيرة والذي تتصاعد
أنفاسه وتملأ الفضاء اشباحاً حية جميلة والناس تبخل عليه
بالخبز والمأوى

ألا تراه اذا أمسك الريشة يمينه كأنه تجرد من المادة
بقوة نفسه ورقة جسمه ومضاء بصيرته وسرعة فكره ولا
ترال الالفاظ تتغلغل في فؤاده ما بين إقدام وإحجام حتى

تخرج ما يريد للناس ضرباً من الكلام . من اخترق
حجب الحقائق ورآها كما هي ، من قرأ كتاب الوجود
الاعظم ، من رأى الصورة الغير منظورة التي تتجلى في
اجزاء العالم المنظور . أليس هو الشاعر ؟ بل من رأى
الاشياء أضعافاً مضاعفة وصورها بألوان ساطعة تفوق
الحقائق أحياناً فاذا وصف الجمال كان كلامه أجمل من الجمال
بل من الذي يخلق من لا شيء أشياء ويزيد على قوس قزح
لوناً لا وجود له . أليس هو الشاعر ؟ يقول شاكسبير
« اذا راق الجو ورق الهواء نظر الشاعر بين الارض
والسما ف رأى الازهار نجوماً والزهرا ازهار وبدع من لا
شيء أشياء وجعل لها من عنده أشكالاً وأسماء

وليس الشاعر من حمل تلك الرسالة فقط بل من
شعر أيضاً ان روح الشعر تتمشى في جسمه حين قراءته
كما تتمشى الكهرباء في الاجسام . فهل شعرت بأنات
« صبري » واخلص « شوقي » ووطنيات « حافظ »
وخيالات « مطران » ورقائق « يكن » وعواطف « جبران »

وفلسفة « الريحاني » ان كنت شعرت بشيء من ذلك
فانت شاعر فقد يكون الانسان شاعراً لا ينظم شطره
ولكنه ليس من الشعارية على شيء ان كان مقلداً

والشاعر رقيق الشعور ، كهربائي الاحساس ، ينفذ
بقوة بصيرته الى أعماق سريرتك ، يرى ما في تلك السريرة
قبل ان تنطق به ، بل أقل ما في الوجود يحرك تلك
العاطفة ، فالصوت العذب ، واللون الجميل ، والوجه الحسن ،
وارج النسيم ، ونعمة الموسيقى ، ومنظر الزهور ، وزعزعة
الريح ، وخرير الماء ، وجبال الثلج ، والحقول ، كل ذلك
يبوح للشاعر بمعانٍ يضمن بها على بقية الناس

الشعر المنثور

أما هذا النوع من الشعر فهو نوع جديد وهو آخر
ما وصل اليه الارتقاء الشعري في الغرب لاسيما في الولايات
المتحدة الامريكية وانجلترا ومخترع هذه الطريقة هو ولت
ويتمان Walt Whitman الشاعر الامريكي الطائر الصيت

ثم تحداه الشاعران النابغان الريحاني وجبران تزيلا نيويورك
وفي هذا الكتاب نعي بالشعر المنشور أيضاً القصائد
المتجمة عن اللغات الاجنبية

المؤلف

الرجاف . سودان

اكتوبر ١٩٢١



العبقري الجليل جبران خليل جبران

جبران خليل جبران

الشاعر كالشعر لا يحصره كالم ولا يحيط به البيان
وجبران من هؤلاء ممن لا تجود علينا الطبيعة بهم إلا كل
مئات من الاعوام

هبة من هبات السماء ونادرة من نوادر الفلك
نفس نائرة كالبحيم وهادئة كالنعيم ومتسعة كالابدية
وعميقة كالبحر وعالية كالسماء وهذا هو الشاعر

جبار يحارب للحق تارة غالب وتارة مغلوب متمرد
يكره القديم الذي نسج عليه الزمان خيوط القدم
مستقل لا يسير على خطه وضعها غيره والاستقلال
دليل الطبع والطبع دليل الحياة

يصوغ فكره فتشعر ان روحك تتمشى معه
يريك ألوان العواطف من خلال سطورهِ حتى تكاد
تلمسها بيدك . ما قرأت له شيئاً إلا وتصورته أمامي كأنني
أراه رأي العين

سار بالشعر العربي خطوات واسعة فان اوزاننا
وقوافينا أضيق من أن تنفسح لاغراض شاعر كجبران
تفتحت مغاليق نفسه ولعل السبب لان جبران مصور كما هو
شاعر فهو شاعر بقلبه وبريشته . أما شاعريته فقد عرفها
قراء العربية وقدرها العالم الغربي . أما فنّه فنسكتفي بما قالته
الجرائد والمجلات الانكليزية

قالت جريدة نيويورك امريكان New York American
رسوم جبران تشغل إحدى الغرف في معرض كنودلر
وتلبس تلك الحجرة حلة غرابه وتجعلها بمزل عما حولها من
الاعتياديات وذلك لان جبران شاعر كما هو مصور وكأني
بالمأمل فيها يدخل الى حجرة النفس البشرية فيجدها
مسكونة بأشباح التذكار والاحلام والشواعر . فن هذه
الصور صورة وجه امرأة دقيق الرسم لطيف الملامح قد
علا فوق الارض والصخور حيث تولدت اشكال مبهمه غير
كاملة ولم ينفصل عنها تماماً بل لا يزال مربوطاً بها بصلات
القراية . ارتفعت المرأة نحو الاعالي ووجهها يتألق بنور

ناعم لين كالقمر في ظلال الفجر وأجفانها أخذت بالانفتاح
لاقتبال نسمة الروح^(١)

وقالت جريدة العلم المسيحية « Christian Science »
لم يبق من التأثيرات العديدة المختلطة التي علقت بذهننا
اثناء زيارتنا للمعارض التصويرية ما هو أشد صراحة من
التأثير الذي أحدثه فينا رسوم جبران المعروضة في معرض
كنودلر . . . والظاهر ان التخيلات الشعرية الشرقية
بغوامضها الباطنية ثبتت فيه رغم التغييرات الجوهرية التي
انتقل اليها اثناء درسه الادب وتعاطيه التصوير سنين عديدة
في باريس ونيويورك

وقالت مجلة « American Art News » تعرض في معرض
كنودلر رسوم جبران خليل وان كانت تم عن تأثير
من رودان Rodin فهي تبرهن عن مقدرة الاخير وتفنته
وبعض هذه الصور خيالية غريبة وتستحق ولا شك التفات
اهل الفن

(١) هل فرات له الاجنحة المتكسرة

وقالت التيمس « The Mimes » في معرض كنودلر
رسوم جبران خليل تسبب لذة عظمية للجمهور الميال الى
هذه الاساليب من الفن . معلوم ان نية المصور تقاس باهمية
رسومه فاذا تعمق حتى وصل الى جوهر موضوعه وعرض
علينا ما يراه مغتبطاً من يكشف شيئاً جديداً فهو المصور
الحقيقي مهما عرض له اثناء ابحاثه العنيفة في عمله الدقيق

وقالت مجلة الفنون السبعة The Seven Arts فن
جبران رمزي سامي المغازي لان أصوله ليست في التصورات
بل في تلك الحقائق الجوهرية التي تظل ثابتة في كل العصور
والتجارب ... ان جبران لا يهتم في فنه بتاريخ الانسان
فقط بل وبتاريخ الحياة أجمع ويهمه منها ليس وصفها
وتصويرها فقط بل وفوق ذلك مقاسمتها عراكها الابدى
ففنه عصري كروح عصرنا الحديث وقديم كالزمن

وقالت مجلة الهلال الغراء

. تصفحننا تلك الرسوم فتذكرنا قول النحات

الشهير رودان^(١) في جبران وهو « لا أعرف رجلاً
كجبران يشبه بلإيك^(٢) في جمعه بين الشعر والتصوير .
ولا يخفى ان الذين نبغوا في غير واحد من الفنون نادرين
وقد توفق جبران الى الجمع بين هذين الفنين ونبغ منهما معاً .
وليس ادل على ذلك من تقدير الغربيين لنتاج قريحته سواء
كان ذلك في الادب او في التصوير

اما تلك الصور فمرماها لتمثيل الجسم البشري في أشكال
ومواقف تؤدي الى الذهن معاني ادبية سامية فمنها ما يمثل
روح الابتكار والابتداع ومنها ما يمثل آلام البشرية ووجاعها
وقد استوقفنا على الخصوص ما مثل منها نزوع الانسان الى
السمو بنفسه فوق طبيعته الحيوانية الى آخر ما هنالك من
الرسوم الناطقة بالحقائق الخالدات

وقد كتب ناشر هذه المجموعة التي يشير اليها الهلال
كلمة قال : ان تلك المجموعة تحوي نماذج من أحسن
ما ابتدعه رجل من نوابغ هذا العصر جاء اميركا بالزعة

الروحانية الشرقية واختار الانخراط في سلك رجال الفن
الغريبين ليحدث بين العالمين القديم والحديث روابط
جديدة وثيقة

يقول البعض ممن لم تقو معدهم على هضم كلام جبران -
هو مجنون . نعم هو كذلك . وما هو الجنون ؟ أليس هو
التفرد . أليس هو مخالفة ما يظنه الناس قاعدة أساسية لا
يجوز التحول عنها لأنه بينما تسير الجهال شرقاً يسير هو غرباً
لأنه لا يدور على ذلك المحور الميكانيكي الذي بلى ونخر
السوس عظامه أو يعد مجنوناً لأنه اختط لنفسه خطه تخالف
ما توارث الآباء عن الأجداد والابناء عن الآباء ؟ أو يعد
مجنوناً لأنه يقول ان بلية الابناء في هبات الابناء ومن لا
يحرم نفسه من عطايا آباءه واجداده يظل عبداً للأموات
حتى يصير عبداً للأموات ؟ أو يعد مجنوناً من يقول الحق
أو يعد مجنوناً لأنه لا يبكيه بكاءكم ولا تضحكه أفراحكم أو
لأنه لا يضحك ويبكي في آن واحد أو لأنه ينوح في

افراحكم ويضحك في مآتمكم وهو المصيب وأنتم المخطئون
ولكنكم لا تعلمون

يقولون هو خيالي يكتب ليفسد اخلاق الناشئة اي
فساد يا قوم اي فساد يحدثه من يقول لكم انكم لا ترتقون
إلا برقي العائلة والكنيسة والحكومة واي متى قام بينكم
منادٍ بالاصلاح فرحبتم به ولم تقولوا له علناً هو مفسد
فانبذوا تعاليمه واحرقوا مؤلفاته واوقفوه عند حده ففقد
أفسد اخلاق الشعب وتقولون سرّاً - وضما تركم خير شاهد -
هو مصالح فاتبعوا تعاليمه وانشروا مؤلفاته واكرموا لثلا
يعود الى موطنه وفي نفسه غصة الألم من جراء جراحاتكم
ألا هو المصالح وأنتم المفسدون

يقولون هو كافر ماحد - هو يا قوم اكثر ايماناً ممن
يتظاهرون بالدين ممن يعبدون الله تظاهراً وفي قلوبهم الف
شيطان رجيم هو اكثر ايماناً ممن يتخذون الدين تجارة
يموهون بها على عقول البسطاء او يعد كافراً لانه يقول لكم
ان ارواحكم تنتفض في مقابض الكهان والمشعوذين

واجسادكم ترتجف بين انياب الطغاة والسفاحين. او يعد كافراً
 لانه يقول لكم لا تتبعوا امثال المطران بولس غالب فهو يريد
 يختص دماءكم ويسلب اموالكم ويهتك حرمة نسائكم
 وليكنكم تطيعونه صاغرين. او يعد كافراً لانه يقول لكم
 ان الاعتقاد شيء والعمل به شيء آخر.. كثيرون هم الذين
 يتكلمون كالبحر أما حياتكم فشبهة بالمستنقعات وكثيرون
 هم الذين يرفعون رؤوسهم فرق قمم الجبال اما نفوسهم فتبقى
 هاجمة في ظلمة الكهوف. او يعد كافراً لانه يقول ان
 الانسان يستطيع ان يعبد الله وهو بين خلقه لان العبادة لا
 تستلزم الوحدة والانفراد وانا لم اترك العالم لاجد الله لاني
 كنت أجده في بيت ابي وفي كل مكان
 او يعد كافراً من يقول «أومن بالله واكرم انبيائه واحب
 الفضيلة ولي رجاء بالآخرة» الا هو المؤمن وانتم
 الكافرون

ان جبران سبطل خالداً بمؤلفاته ورسوماته وستردد
العصور الآتية ذكره ويتغنى ابناء المستقبل باناشيده الخالدة
وسبطل اسمه مقروناً باسم امرىء القيس وأبي العلاء وداني
وشكسبير وماتن وهو جو وغيرهم من ابطال الشعراء الذين
اخطوا لانفسهم خطه في الشعر جديدة

نحن أبناء الكآبة

وانتم أبناء المسرات

نحن أبناء الكآبة والكآبة ظل اله لا يسكن في
جوار القلوب الشريرة

نحن ذوو النفوس الحزينة والحزن كبير لا تسعه
النفوس الصغيرة

نحن نبكي ونتحب أيها الضاحكون، ومن يغتسل
بدموعه مرة يظل نقياً الى نهاية الدهور

أنتم لا تعرفوننا. أما نحن فنعرفكم
أنتم سائرون بسرعة مع تيار الحياة فلا تلتفتون نحونا

أما نحن فجالسون على الشاطئ نراكم ونسمعكم
أنتم لا تعون صراخنا لان ضجيج الايام يملأ آذانكم
أما نحن فنسمع اغانيكم لان همس الليالي قد فتح

مسامعنا

نحن راكم لانكم واقفون في النور المظلم
أما انتم فلا تروننا لاننا جالسون في الظلمة المنيرة

نحن أبناء الكتابة — نحن الانبياء والشعراء
والموسيقيون

نحن نحوك من خيوط قلوبنا ملابس الالهة ، ونغلا
بحبات صدورنا حفلات الملائكة

وانتم - أنتم أبناء غفلات المسرات وبقظات الملاهي -
أنتم تضعون قلوبكم بين أيدي الخلو لان أصابع الخلو ليننة
الملامس وترتاحون بقرب الجهالة لان بيت الجهالة خال من
مرآة ترون فيها وجوهكم

نحن نتههد ومع تهيداتنا يتصاعد همس الازهار وحفيف
الغصون وخير السواقي

أما انتم فتضحكون وقهقهة ضحككم تتمزج بسحق
الجماحم وقرقة القيود وعويل الهاوية

نحن نبكي ودموعنا تنسكب في قلب الحياة مثلاً

يتساقط الندى من اجفان الليل في كبد الصباح

أما انتم فتبتسمون من جوانب افواهكم المبتسمة

تنهرق السخرية كما يسيل سم الافعى على جرح المسوع

نحن نبكي لاننا نرى تعاسة الارملة وشقاء اليتيم وانتم

تضحكون لانكم لا ترون غير لمعان الذهب

نحن نبكي لاننا نسمع أنة الفقير وصراخ المظلوم وانتم

تضحكون لانكم لا تسمعون سوى رنة الاقداح

نحن نبكي لان ارواحنا منفصلة بالاجساد عن الله

وانتم تضحكون لان اجسادكم تلتصق مرتاحة

بالتراب

نحن أبناء الكآبة وانتم أبناء المسرات

فهاموا نضع ماآتي كآبتنا وأعمال مسراتكم أمام وجه

الشمس

انتم بنيتم الاهرام من جماجم العبيد

والاهرام جالسة الآن على الرمال تحدث الاجيال عن
خلودنا وفنائكم

ونحن هدمنا الباستيل بسواعد الاحرار
والباستيل افضة ترددها الامم فتباركنا وتلعنكم
انتم رفعتهم حدائق بابل فوق هياكل الضعفاء واقمتهم
قصور نينوى فوق مدافن البؤساء ، وها قد أصبحت بابل
ونينوى نظير آثار أخفاف الابل على رمال الصحراء

أما نحن فقد نحتنا تماثيل عشتاروت من الرخام فجعلنا
الرخام يرتعش جامداً وبتكلم صامتا ، وضربنا النهارند على
اللاتار فاستحضرت الاوتار ارواح المحبين الحائمة في الفضاء
ورسمنا مريم بالخطوط والالوان فبدت الخطوط كافكار الالهة
والالوان كمواطف الملائكة

انتم تتبعون الملاهي ، وأظافر الملاهي مزقت الف الف
من الشهداء في مراسح رومة وانطاكية
ونحن نلاحق السكينة ، وأصابع السكينة نسجت
الالياذة وسفر أيوب والتائية الكبرى

أنتم تلازمون الشهوات وعواصف الشهوات جرفت.
الف موكب من أرواح النساء الى هاوية العار والفجور
ونحن نعانق الوحدة وفي ظلال الوحدة تجسمت
المعلقات ورواية هممت وقصيدة دانتي
انتم تسامرون المطاعم وأسياف المطاعم أجرت الف
نهر من الدماء
ونحن نرافق الخيال وأيدي الخيال أنزلت المعرفة من
دائرة النور الاعلى

نحن أبناء الكآبة وأنتم أبناء المسرات ، وبين كآبتنا
وسروركم عقبات وعرة المسالك ، ضيقة المعابر لا تجتازها
خيولكم المطهمة ولا تسير عليها مركباتكم الجميلة
نحن نشفق على صغاركم ، وأنتم تكرهون عظمتنا
وبين شفقتنا وكرهكم يقف الزمان محتاراً بنا وبكم
نحن ندنو منكم كالأصدقاء ، وأنتم تهاجوننا كالاعداء
وبين الصداقة والعداوة هوة عميقة مملوءة بالدموع والدماء

نحن نبني لكم القصور وأنتم تحفرون انما القبور ،
وبين جمال القصر وظلمة القبر تسير الانسانية بقدم من حديد
نحن نغرس سبلكم بالورد ، وانتم تغمرون مضاجعنا
بالاشواك . وبين أوراق الورد وأشواكه تنام الحقيقة نوماً
عميقاً أديماً

منذ البدء وانتم تصارعون قوانا اللينة بضعفكم الخشن
تغالبوننا ساعة فتضجون فرحين كالضفادع
ونغلبكم دهرأ فنظل صامتين كالجبارة

قد صلبتم الناصري ووقفتم حوله تسخرون وتجدفون
عليه ولكن لما انقضت تلك الساعة نزل من صليبه وسار
كالجبار يتغلب على الاجيال بالروح والحق ويملا الارض
بمجده وجهاله

قد سمتم سقراط ، ورجتم بولس ، وقتلتم غاليلو ،
وفتكتهم بابن ابي طالب وخنقتم مدحت وهؤلاء يحيون الآن
كلا بطل الظافرين أمام وجه الابدية
أما انتم فتعيشون في ذاكرة الانسانية كجثث فوق

التراب لا تجد من يدفنها في ظلمة النسيان والعدم

نحن أبناء الكآبة . والكآبة غيوم تمطر العالم
خيراً ومعرفة

وأنتم اولاد المسرات ، ومهما تعالت مسراتكم فهي
كأعمدة الدخان تهدمها الرياح وتبددها العناصر
نحن أبناء الكآبة وأنتم أبناء المسرات

أيها الليل

يا ليل العشاق والشعراء والمنشدين
يا ليل الاشباح والارواح والاخيلة
يا ليل الشوق والصبابة والتذكار
أيها الجبار الواقف بين اقزام غيوم المغرب وعرائس
الفجر ، المتقلد سيف الرهبة ، المتوج بالفجر ، المنسوج
بثوب السكوت ، الناظر بالف عين الى اعماق الحياة ،
المصغي بالف اذن الى أنة الموت والعدم
انت ظلام يرينا انوار السماء
والنهار نور يغمرنا بظلمة الارض
أنت أمل يفتح بصائرنا امام هيبة اللانهاية
والنهار غرور يوقفنا كالعميان في عالم المقاييس والكمية
أنت هدوء يديح بصمته خفايا الارواح المستيقظة
السائرة في الفضاء العلوي
والنهار ضجيج يثير بعوامله نفوس المنطرحين بين
سنايك المقاصد والرغائب

أنت عادل يجمع بين جنحي الكرى أحلام الضعفاء
بإماني الأقوياء

وأنت شفق يغمض بإصابعه الخفية أجفان التعساء
ويحمل قلوبهم الى عالم اقل قساوة من هذا العالم

بين طيات اثوابك الزرقاء يسكب المحبون انفسهم
وعلى قدميك المغلفتين بقطر الندى يهرق المستوحشون
قطرات دموعهم ، وفي راحتيك المعطرتين بطيب الاودية
يضع الغرباء تنهدات شوقهم وحنينهم ، فأنت نديم المحبين
وأنيس المستوحدين ورفيق الغرباء والمستوحشين

في ظلالك تدب عواطف الشعراء
وعلى منكبيك تستفيق قلوب الانبياء
وبين ثنايا صفائك ترتعش قرائح المفكرين
فأنت ملقن الشعراء والموحي الى الانبياء والموعز الى
المفكرين والمتأملين



عند ما ملت نفسي البشر ، وتعبت اجفاني من النظر

الى وجه النهار سرت الى الحقول البعيدة حيث تهجع أشباح
الازمنة الغابرة

هنالك وقفت أمام كائن أقم جامد مرتعش سائر بألف
قدم فوق السهول والجبال والودية

هنالك أهدقت شاخصاً بعيون الدجى ، مصغياً لحفيف
الاجنحة غير المنظورة شاعراً بملامس ملابس السكوت
مستتبساً أمام مخاوف الظلام

هنالك رأيتهك - أيها الليل - شبحاً هائلاً جميلاً منتصباً
بين الارض والسماء ، متشجاً بالسحاب ، ممنطقاً بالضباب ،
ضاحكاً من الشمس ، ساخراً بالنهار ، مستهزئاً بالعبيد الساهرين
أمام الاصنام ، غاضباً من الملوك الرافدين فوق الحرير
والديباج ، محملاً بوجوه اللصوص ، خافراً بقرب أسرة
الاطفال ، باكياً لا يتسام الساقطات ، مبتسماً لبكاء العشاق ،
رافعاً يمينك كبار القلوب ، ساحقاً بقدميك صغار النفوس
هنالك رأيتهك - أيها الليل - ورأيتني فكنت بهولك

لي أباً وكننت بأحلامي لك ابناً فازيحجت من بيننا ستائر
 الاشكال وتمزق من وجهينا نقاب الظن والتخمين فابحت
 لي بأسرارك ونواياك وأبنت لك أماني وآمالي حتى اذا
 تحولت أهوالك الى انعام أغرب من همس الازهار وتبدلت
 مخاوفي بأنس أطيب من طمأنينة المصافير رفعتني اليك
 وأجاستني على منكبيك وعامت عيني النظر وعامت اذني
 السمع وعامت شفتي الكلام وعامت قلبي محبة ما لا يحبه
 الناس وكره ما لا يكرهونه ثم لمست بأناملك أفكاري نهراً
 راكضاً مترغماً يحرف الاعشاب الذابلة ثم قبالت بشفتيك
 روحي فتمايلت روحي شعلة متقدة تلتهم الانصاب اليابسة
 لقد صحبتك أيها الليل حتى صرت شبيهاً بك وألفتك
 حتى تمازجت أميالي بأميالك وأحبيبتك حتى تحول وجداني
 الى صورة مصغرة لوجودك . ففي نفسي المظلمة كواكب
 ملامعة ينثرها الوجد عند المساء وتلتقطها الهواجس في
 الصباح . وفي قلبي الرقيب قمر يسعى تارة في فضاء متلبد
 بالغيوم وطوراً في خلاء مفعم بمواكب الاحلام وفي روحي

الساهرة سكرينة تبسح بتفاعيلها أسرار المحبين وترجع
خلاياها صدى صلوات المتعبدين وحول رأسي غلاف من
السحر تمزقه حشرة المنازعين ثم تحيطه أغاني المتشبهين
أنا مثلك أيها الليل وهل يحسبني الناس مفاخرأ إذا ما
تشبهت بك وهم إذا تفاخروا يتشبهون بالنهار
أنا مثلك وكلانا متهم بما ليس فيه
أنا مثلك بأميالي وأحلامي وخلقى وأخلاقى
أنا مثلك وإن لم يتوجني المساء بغيومه الذهبية
أنا مثلك وإن لم يرصع الصباح أذيالي بأشعته الوردية
أنا مثلك وإن لم أكن ممنطقاً بالجرّة
أنا أبل مسترسل منبسط هادئ مضطرب وليس
لظامتي بدء وليس لأعماقى نهاية فاذا ما انتصبت الأرواح
متباهية بنور أفراسها تتعالى روجي متجمدة بظلام كآبتها
أنا مثلك أيها الليل ولن يأتي صباحي حتى ينتهي أجلي

بين ليل وصباح

اسكت يا قلبي فالفضاء لا يسمعك

اسكت فلاثير المثلث بالنواح والعويل لن يحمل

اغانيك وانشيدك

اسكت فاشباح الليل لا تحفل بهمس اسرارك

ومواكب الظلام لا تقف أمام احلامك

اسكت يا قلبي . اسكت حتى الصباح فمن يترقب

الصباح صابراً يلاقي الصباح قويا ومن يهوى النور فالنور

يهواه

اسكت يا قلبي واسمعي متكلماً

في الحلم رأيت شحوراً يغرد فوق فوهة بركان نار

ورأيت زنبقة ترفع رأسها فوق الثلوج

ورأيت حورية عارية ترقص بين القبور

ورأيت طفلاً يلعب بالجماجم وهو يضحك

رأيت جميع هذه الصور في الحلم ولما استيقظت

ونظرت حولي رايت البركان هائجاً ولكنني لم اسمع

الشحرور مغرداً ولا رأيته مرفرفاً
ورأيت الفضاء ينثر الثلوج على الحقول والودية
سائرًا بكفانه البيضاء اجسام الزنابق الهامدة
ورأيت القبور صفوفًا منتصبة امام سكينه الدهور
وليس بينها من يتمايل راقصاً ولا من يجثو مصلياً
ورأيت راية من الجماجم وليس هناك من ضاحك
سوى الريح
في اليقظة رأيت الحزن والأسى فاين ذهبت افراح
الحلم ومسراته
أنى توارت بهجة المنام وكيف اضمحات رسومه
وكيف تتجلد النفس حتى يعيد النوم اشباح امانيتها وآمالها
اصغ يا قلبي واسمعي متكلماً
كانت نفسي بالأمس شجرة قوية مسنة تمتد عروقها
الى أعماق الارض وتتعالى غصونها نحو اللانهاية
ولقد ازهرت نفسي في الربيع واثمرت في الصيف ولما
جاء الخريف جمعت اثمارها في اطباق من الفضة ووضعتها

على قارعة الطريق فكان العابرون يتناولون منها ويأكلون ثم
يسيرون في سبيلهم

ولما انقضى الخريف وتحولت تهاليله الى الذنب
واللولولة نظرت فلم أر في اطباق سوى ثمرة واحدة القاها
الناس لي فتناولتها وأكلت فالفيتها مرة كالعقم . حامضة
كالخصرم فقلت لنفسي ويحي لقد وضعت في افواه الناس
لعنة وفي اجوافهم عداً فماذا ترى فعلت يا نفسي بلحلاوة التي
امتصتها عروقك من احشاء الارض وبالاريج الذي تشربته
قضبائك من نور الشمس

بعد ذلك اقتلعت شجرة نفسي القوية المسنة
اقتلعتها بعروقها من التربة التي نمت فيها وترعرعت
اقتلعتها من ماضيها ونزعت عنها ذكرى الف ربيع
والف خريف

وعدت فزرعت شجرة نفسي في مكان آخر
زرعتها في جقل بعيد عن سبل الزمن وكنت اسهر
بجانها قائلاً ان السهر يدنينا من النجوم . وكنت اسقيها

بدمي ودموعي قائلاً ان في الدم نكهة وفي الدموع حلاوة
ولما عاد الربيع ازهرت نفسي ثانية

وفي الصيف اثمرت نفسي . ولما جاء الخريف جمعت
ثمارها الناضجة باطباق من الذهب ووضعتها على ملتقى
السبل . فمر الناس افراداً وجماعات ولكن لم يجد احد يده
ليتناول منها

فاخذت اذ ذاك ثمرة وأكلت فوجدتها حلوة كالشهد .
لذيذة كالسكر طيبة كالخمر البابلية . عطرة كإنفاس
الياسمين . فصرخت قائلاً : ان الناس لا يريدون البركة في
افواههم ولا الحق في اجوافهم لان البركة ابنة الدموع
والحق ابن الدماء

ثم عدت وجلست في ظل شجرة نفسي المنفردة في
حقل بعيد عن سبل الزمن

اسكت يا قلبي حتى الصباح

اسكت ، فالفضاء قد اتخمته رائحة الاشلاء فلن يشرب
أنفاسك .

اصغ يا قلب واسمعي متكلماً
كانت بالامس فكرتي سفينة تتقلب بين أمواج
البحار وتنتقل مع الالهواء من شاطئ الى شاطئ
واقدم كانت سفينة فكرتي خالية الا من سبعة
أكواب طاحنة بألوان مختلفة تشابه ألوان قوس القزح
بنضارتها

وجاء زمن مللت فيه التنقل على وجه البحار فقامت
سأعود بسفينة فكرتي الفارغة الى ميناء البلد الذي
ولدت فيه

ثم أخذت أطي جوانب سفيني بألوان صفراء كشمس
المغيب ، وخضراء كقلب الربيع . وزرقاء ككبد السماء
وحمرات كذوب الشقيق ، وأرسم على شراعها ودفتها رسوماً
غريبة تجذب العين وتبهج البصيرة . ولما انتهيت من عملي
وقد ظهرت سفينة فكرتي كرؤيا بني تطوف بين اللانهايتين

البحر والسماء ، دخلت ميناء بلدي فخرج الناس لملاقاتي
بالتهليل والتعظيم وادخلوني المدينة صارين الدفوف نافعين
الزمر

فعلوا ذلك لان خارج سفينتي كان مزخرفاً بهجاً

ولم يدخل احد جوف سفينة فكريتي

ولم يسأل احد ماذا جلبت فيها من وراء البحار

ولم يدر احد اني عدت بها فارغة الى الميناء

عند ذلك قلت في سري : « لقد ضللت الناس .

وبسبعة اكواب من الالوان قد كذبت على باصريهم

وبصائرهم »

وبعد عام زكبت سفينة فكريتي وأبحرت ثانية

سرت الى جزر الشرق فجمعت منها المر واللبان والند

والصندل وأدخلتها الى سفينتي

والى جزر الجنوب فجلبت منها التبر والعاج والياقوت

والزمر وجميع الحجارة الكريمة

والى جزر الشمال فعدت منها بالخز والوشي والبرفير

والى جزر الغروب فحملت منها الدروع المزردة والسيوف
المشرفية والرماح السهمية وسائر أنواع الاسلحة
وملاأت سفينة فسكرتي بنفائس الارض وغرائبها
وعدت الى ميناء بلدي قائلا : « سوف يعجني قومي ولكن
عن جدارة . وسيدخلونني المدينة ، مذشرين مزمرين ، ولكن
عن استحقاق

ولكن لما بلغت الميناء ، لم يخرج احد لملاقاتي . ودخلت
شوارع بلدي فلم يلتفت اليّ احد
ووقفت في ساحتها معلنا للناس ما جلبت لهم من
ثمار الارض وطرائفها فكانوا ينظرون اليّ والضحك ملء
أفواههم والسخرية على وجوههم ثم يتحولون عني
فعدت الى الميناء كئيبا مستغربا . ولكنني ما لحت
سفينتي حتى فطنت لامر كنت مشغولا عنه بمنازع اسفاري
ورغائبها . فتهتفت قائلا : « ان امواج البحار قد محت الطلاء
من جوانب سفينتي فبان كهيكل من عظام . وعفت
الارياح والانواء وحرارة الشمس الرسوم عن شراعها

فظهرت كأواب رمادية بالية »

لقد جمعت طرائف الارض ونفائسها في تابوت يعوم على
وجه الماء وعدت الى قومي فنبذوني لان عيونهم لا ترى
سوى المظاهر الخارجية

في تلك الساعة تركت سفينة فكريتي وذهبت الى
مدينة الاموات وجلست بين القبور المكسرة مفكراً
باسرارها

اسكت يا قلبي حتى الصباح . اسكت فالعائفة
الهُوجاء تسخر بهمس أعماقك . وكهوف الوادي لن ترجع
بصداها رنات أوتارك

اسكت يا قلبي حتى الصباح فمن يترقب الصباح متجلداً
يعانقه الصباح مشتاقاً

ها قد طلع الفجر يا قلبي فتكلم ان كنت تستطيع
الكلام

هوذا موكب الصباح يا قلبي فهل أبقى سكوت الليل
في أعماقك أغنية تلاقي بها الصباح

هوذا أسراب الحمام والشحارير تتطاير متنقلة في
أطراف الوادي ، فهل أبقى هول الليل في جنحيك صلابة
لتطير معها

هوذا الرعيان يسرون أمام قطعانهم من الحظائر
والمرابض فهل أبقت لك أشباح الليل عزماً لتسير وراءها
الى المروج الخضراء

هوذا الفتيان والصبايا يمشون الهويناء نحو الكروم
فهل نهضت ومشيت معهم

قم يا قاي . قم وسر مع الفجر فالليل قد مضى ونخاوف
الليل قد اضمحلت مع احلامه السوداء
قم يا قاي وارفع صوتك مترنماً فمن لا يشارك الصبح
باغانيه كان من أبناء الظلام

يسوع المصلوب

اليوم وفي مثل هذا اليوم من كل سنة تستيقظ
الانسانية من رقادها العميق وتقف أمام الاشباح ناظرة
بعيون مغلفة بالدموع نحو جبل الجلجلة لترى يسوع
الناصري معلقاً على خشبة الصليب وعندما تغيب الشمس
عن مآتي النهار تعود الانسانية وترك مصلية أمام الاصنام
المنتصبة على قمة كل رابية وفي سفح كل جبل

اليوم تقود الذكرى ارواح المسيحيين من جميع اقطار
العالم الى جوار اورشليم فيقفون هناك صفوفاً قارعين
صدورهم محدقين بشبح مكمل بالاشواك باسط ذراعيه أمام
اللانهاية ناظر من وراء حجاب الموت الى اعماق الحياة .
ولكن لا تسدل ستائر الليل على مسارح هذا النهار حتى
يعود المسيحيون ويصطحبون جماعات جماعات في ظلال
النسيان بين لحف الجهالة والخمول

وفي مثل هذا اليوم من كل سنة يترك الفلاسفة

كهوفهم المظلمة والمفكرون صوامعهم الباردة والشعراء
أوديتهم الخالية ويقفون جميعهم على جبل عال صامتين
متهيبين مصغين الى صوت فتى يقول لقاتليه.. «يا ابتاه أغفر
لهم لأنهم لا يدرون ما يفعلون»... ولكن لا تكثف
السكينة اصوات النور حتى يعود الفلاسفة والشعراء
ويكفنون ارواحهم بصفحات الكتب البالية

ان النساء المشغولات بهجة الحياة المشغوفات بالخلي
والحلل يخرجن اليوم من منازلهن ليشاهدن المرأة الحزينة
الواقفة أمام الصليب وقوف الشجرة اللينة امام عواصف
الشتاء ويقتربن منها ليسمعن أنينها العميق وغصاتها الاليمة

اما الفتيان والصبايا الراكضون مع تيار الايام الى
حيث لا يدرون فيقفون اليوم هنيهة ويلتفتون الى الوراء
ليروا الصبية المجذلية تغسل بدوعها قطرات الدماء عند قدمي
رجل منتصب بين الارض والسماء ولكن عندما تمل عيونهم

النظر الى هذا المشهد يتحولون مسرعين ضاحكين

في مثل هذا اليوم من كل سنة تستيقظ الانسانية
بيقظة الربيع وتتقف باكية لاوجاع الناصري ثم تطبق
اجفانها وتنام نوماً عميقاً . أما الربيع فيظل مستيقظاً متبسماً
سائراً حتى يصير صيفاً مذهب الملابس معطر الاذبال

الانسانية امرأة يلذ لها البكاء والنحيب على ابطال
الاجيال . ولو كانت الانسانية رجلاً لفرحت بمجدهم
وعظمتهم

الانسانية ترى يسوع الناصري مولوداً كالفقراء عائشاً
كالمساكين مهاناً كالضعفاء مصلوباً كالجرمين فتمكيه وترثيه
وتندبه وهذا كل ما تفعله لتكريمه

منذ تسعة عشر جيلاً والبشر يعبدون الضعف لشخص

يسوع، ويسوع كان قوياً ولاسكنهم لا يفهمون معنى القوة الحقيقية

ما عاش يسوع مسكيناً خائفاً ولم يمت شاكياً متوجعاً
بل عاش ثائراً وصلباً متمرداً ومات جباراً

لم يكن يسوع طائراً مكسور الجناحين بل كان
عاصفة هوجاء تكسر بهبوبها جميع الاجنحة المعوجة

لم يحس، يسوع من وراء الشفق الازرق ليجعل الالم
رمزاً للحياة . بل جاء ليجعل الحياة رمزاً للحق والحرية

لم يخف يسوع مضطهديه ولم يخش أعداءه ولم يتوجع
أمام قاتليه بل كان حراً على رؤس الاشهاد، جريئاً أمام الظلم
والاستبداد، يرى البثور الكريهة فيبضعها، ويسمع الشر
متكلماً فيخرسه، ويلتقي بالرياء فيصرعه

لم يهبط يسوع من دائرة النور الاعلى ليهدم المنازل
ويبني من حجارته الاذيرة والصوامع ، ويستهوِي الرجال
الاشداء ليقودهم قسوساً ورهباناً بل جاء ليثبت في فضاء هذا
العالم روحاً جديدة قوية تقرض قوائم العروش المرفوعة على
الجماجم وتهدم القصور المتعالية فوق القبور وتسحق الاصنام
المنصوبة على أجساد الضعفاء المساكين

لم ينجى يسوع ليعلم الناس بناء الكنائس الشاهقة
والمعابد الضخمة في جوار الاكواخ الحقيمة والمنازل الباردة
المظلمة بل جاء ليحول قلب الانسان هيكلاً ونفسه مذبحاً
وعتله كاهناً

هذا ما صنعه يسوع الناصري وهذي هي المبادئ التي
صلب من اجلها مختاراً ولو عقل البشر لوقفوا اليوم فرحين
متهملين ، منشدين أهازيج الغلبة والانتصار

وأنت أيها الجبار المصلوب ، الناظر من أعالي الجحيلة
الى مواكب الاجيال ، السامع ضجيج الامم ، الفاهم احلام
الابدية ، انت على خشبة الصليب المضرجة بالدماء اكثر
جلالاً ومهابة من الف ملك على الف عرش في ألف مملكة .
بل انت بين النزع والموت اشد هولاً وبطشاً من الف قائد
في الف جيش في الف معركة

أنت بكآبتك أشد فرحاً من الربيع بازهاره ، انت
باوجاعك اهدا بالاً من الملائكة بسماها ، أنت بين الجلادين
أكثر حرية من نور الشمس .

ان اكليل الشوك على رأسك هو اجلّ واجمل من
تاج بهرام . والمسمار في كفك أسمى وأنخم من صولجان
المشتري ، وقطرات الدماء على قدميك أسنى لمعاناً من قلائد
عشتاروت ، فساءح هؤلاء الضعفاء الذين ينوحون عليك
لانهم لا يدرون كيف ينوحون على نفوسهم ، واغفر لهم
لانهم لا يعلمون بانك صرعت الموت بالموت ووهبت الحياة
لمن في القبور

لكم لبنانكم ولي لبناني

بقلم جبران خليل جبران

لكم لبنانكم ، ولي لبناني
لكم لبنانكم ومعضلاته ، ولي لبناني وجماله
لكم لبنانكم بكل ما فيه من الاغراض والمنازع ، ولي
لبناني بما فيه من الاحلام والاماني
لكم لبنانكم فاقتنعوا به ، ولي لبناني وانا لا أقنع بغير
المجرد المطلق

لبنانكم عقدة سياسية تحاول حلها الايام ، أما لبناني
فتلؤلؤ تتعالى بهيمة وجلال نحو ازرقاق السماء
لبنانكم مشكلة دولية تتقاذفها الليالي ، أما لبناني فأودية
هادئة مسحورية تتعرج في جنباتها رنات الاجراس واغاني
السواقي

لبنانكم صراع بين رجل جاء من المغرب ورجل جاء من

الجنوب . أما لبناني فصلاة مجنحة ترفرف صباحاً عندما يقود
الرعاة قطعانهم الى المروج وتتصاعد مساءً عندما يعود الفلاحون
من الحقول والكروم

لبنانكم حكومة ذات رؤوس لا عداد لها ، أما لبناني
فجبل رهيب وديع جالس بين البحر والسهول جلوس شاعر
بين الابدية والابدية

لبنانكم حيلة يستخدمها الشعب عند ما يلتقي بالضبع
والضبع حينما يجتمع بالذئب ، أما لبناني فتذكارات تعيد على
مسمعي اهازيج الفتيات في الليالي المقمرة واغاني الصبايا بين
البيادر والمعاصر

لبنانكم مربعات شطرنج بين رئيس دين وقائد جيش ،
أما لبناني فمعبود ادخله بالروح عند ما أمل النظر الى وجه هذه
المدنية السائرة على الدواليب

لبنانكم رجلان ، رجل يؤدي المكوس ورجل يقبضها ،
أما لبناني فرجل فرد متكئ على ساعده في ظلال الارز وهو
منصرف عن كل شيء سوى الله ونور الشمس

لبنانكم مرافى، وبريد وتجارة، أما لبناني ففكرة بعيدة
وعاطفة، شتلة وكلمة علوية تهمسها الأرض في أذن الفضاء
لبنانكم موظفون وعمال ومدبرون، أما لبناني فتأهب
الشباب وعزم الكهولة وحكمة الشيخوخة

لبنانكم وفود وجان، أما لبناني فجاس حول المواعد
في ليال تغمرها هيبه العواصف ويحملها طهر انثولوج
لبنانكم طوائف واحزاب، أما لبناني فصبيبة يتساقون
الصخور ويركضون مع الجداول ويقذفون الاكر في
الساحات

لبنانكم خطب ومحاضرات ومناقشات، أما لبناني فتغريد
الشحارير، وحفيف اغصان الحور والسنديان، ورجع صدى
النايات في المغاور والكهوف

لبنانكم كذب يحتجب وراء نقاب من الذكاء المستعار،
ورياء يختبئ في رداء من التقليد والتصنع، أما لبناني فحقيقة
بسيطة عارية اذا نظرت في حوض ماء ما رأت غير وجهها
الهادى وملاحها المنبسطة

لبنانكم شرائع وبنود على أوراق ، وعقود وعهود في
دفاتر ، أما لبناني ففطرة تعلم أسرار الحياة وهي لا تعلم أنها
تعلم ، وشوق يلامس في اليقظة اذلال الغيب ويظن نفسه
في منام

لبنانكم عجوز قابض على لحيته ، قاطب ما بين عينيه ،
ولا يفكر الا بذاته ، أما لبناني ففتى ينتصب كالبرج ويبتسم
كالصباح ويشعر بسواه شعوره بنفسه

لبنانكم ينفصل آناً عن سوريا ويتصل بها آونة ثم
يحتال على طرفيه ليكون بين معقود ومحلول ، أما لبناني فلا
يتصل ولا ينفصل ولا يتفوق ولا يتصاغر

لكم لبنانكم ، ولي لبناني
لكم لبنانكم وابناؤه ، ولي لبناني وابناؤه
ومن هم يا ترى ابناء لبنانكم ؟
ألا فانظروا هنيهة لاريكم حقيقتهم
هم الذين ولدت ارواحهم في مستشفيات الغربيين

هم الذين استيقظت عقولهم في حضن طامع يمثل
دور أريحي

هم تلك القضبان اللينة التي تميل الى اليمين والى اليسار
ولكن بدون ارادة ، وترتعش في الصباح وفي المساء ولكنها
لا تدري انها ترتعش

هم تلك السفينة التي تصارع الامواج وهي بدون دفعة
ولا شراع ، أما ربانها فالتردد وأما مينائها فكهف تسكنه
الغيلان - أوليست كل عاصمة في اوربا كهفاً للغيلان ؟

هم الاشداء الفصحاء البالغاء ولكن بعضهم لدى بعض ،
والضعفاء الخرسان امام الافرنج

هم الاحرار المصلحون المتحمسون ولكن في صحفهم
وفوق منابرهم . والمنقادون الرجعيون امام الغربيين

هم الذين يضجون كالضفادع قائلين « لقد تم لصنا من
عدونا الطاغية القديم » وعدوهم القديم الطاغية ما برح يخبئ
في اجسادهم

هم الذين يسرون امام الجنازة مزمرين راقصين ، حتى

إذا ما التقوا بموكب الدرس تحول تزميرهم الى نواح ورقصهم
الى قرع الصدور وشق الاثواب

هم الذين لا يعرفون المجاعة الا اذا كانت في جيوبهم
فاذا ما النقوا بمن كانت مجاعته في روحه ضحكوا منه وتحولوا
عنه قائلين : ما هذا سوى خيال يسير في عالم الاخيلة »

هم اولئك العبيد الذين تبدل الايام قيودهم المصدأة
بقيود لامعة فيظنون انهم اصبحوا احراراً مطلقين

هؤلاء هم ابناء لبنانكم فهل بينهم من يمثل العزم في
صخور لبنان أم النيل في ارتفاعه أم العذوبة في مائه أم العطر
في هوائه ؟ هل بينهم من يتجرأ ان يقول « اذا ماتت
تركت وطني افضل قليلاً مما وجدته عند ما ولدت ؟ » هل
بينهم من يتجرأ ان يقول « لقد كانت حياتي قطرة من
الدم في عروق لبنان أو دمة بين اجفانه أو ابتسامة على
شعره ؟ »

هؤلاء هم ابناء لبنانكم فما اكبرهم في عيونكم وما
اسغرهم في عيني

ولكن قفوا قليلا وانظروا لاريكم ابناء لبناني
هم الفلاحون الذين يحولون الوعر الى حدائق
وبساتين

هم الرعاة الذين يقودون قطعانهم من واد الى واد
فتنمو وتتكاثر وتعطيكم لحومها غذاء وصوفها رداء
هم الكرامون الذين يعصرون العنب خمراً ويعقدون
الخمر دبساً

هم الآباء الذين يربون انصاب التوت والامهات اللواتي
يغزلن الحرير

هم الرجال الذين يحصدون الزرع والزوجات اللواتي
تجمعن الاغمار

هم البنائون والفيخارون والحائكون وصانعو الاجراس
والنواقيس

هم الشعراء الذين يسكبون اراحهم في كوؤوس جديدة
وهم شعراء الفطرة الذين ينشدون العتابا والمعنى والزجل
هم الذين يغادرون لبنان وليس لهم سوى حمامة في

قلوبهم وعزم في سواعدهم ويمودون اليه وخيرات الارض
في اكفهم واكاليل الغار على رؤوسهم

هم الذين يتغلبون على محيطهم اينما حلوا ويحتذبون
القلوب اليهم اينما وجدوا

وهم الذين يولدون في الاكواخ ويموتون في قصور العلم
هؤلاء هم ابناء لبناني

هؤلاء هم السرج التي لا تظفيها الارياح والملاح الذي
لا تفسده الدهور

هؤلاء هم السائرون باقدام ثابتة نحو الحقيقة والجمال
والكمال

وماذا عسى ان يبق من لبنانكم وابناء لبنانكم بعد مئة
سنة ؟

اخبروني - ماذا تتركون للغد سوى الدعوى والتلفيق
والبلادة ؟

هل تحسبون ان الزمن يحفظ في ذاكرته مظاهر الخداع
والمداهنة والتدليس ؟

أتظنون ان الاثير يخزن في جيوبه أشباح الموت
وانفاس القبور ؟

أتوهمون ان الحياة تستر جسدها العاري بالخرق
البالية ؟

أقول لكم والحق شاهد عليّ ان نصبة الزيتون التي
يغرسها القروي في سفح لبنان لأبقى من جميع أعمالكم
وما تيكم ، والمحراث الخشبي الذي تجره العجول في
منعطفات لبنان لا شرف وأنبل من كل أمانيكم ومطامحكم
أقول لكم وضمير الوجود صاغ اليّ ان اغنية جامعة
البقول بين هضاب لبنان لأطول عمراً من كل ما يقوله اوجه
وأصنخم ثرثار بينكم

أقول لكم انكم لستم على شيء . ولو كنتم تعلمون
انكم لستم على شيء لتحول اشمزازي منكم الى شكل
من العطف والحنان ، ولكنكم لا تعلمون

لكم لبنانكم ولي لبناني

لكم لبنانكم وابناء لبنانكم فاقتمعوا به وبهم ان

استطعتم الاقتناع بالفقاييع الفارغة

أما انا فمقتنع بلبناني وابنائيه وفي اقتناعي عذوبة وسكينة

وطمأنينة

جبران خليل جبران



شاعر الہند
رابندر نات طاغور

رابندر نات طاغور

نجوم ثلاث ممن اطلعتها سماء الشرق تضيء في الغرب
أولئك هم جبران والريحاني وطاغور والاخير أشعر شعراء
الهند وفيلسوف من فلاسفتها العظام . له منزلة كبيرة بين
شعراء أوروبا وأمريكا . نال جائزة نوبل الادبية سنة ١٩١٣
وقدرها ٨٠٦١ جنيهًا وكان الكتاب الذي نال به الجائزة قرايين
الاغاني وما عثم ان اردفه بالدمستاني حتى تناولته الجرائد الانجليزية
بالتقريب فقالت الاوبزرفر^(١) « هذا الشاعر يتناول الصغائر
المألوفة من أمور الناس ويصنعها درراً تتألق في ردعات السماء
وجلال الحب والحياة . فهو من ذوي الرؤيه وهو في الحب
بصير - وما أدراك ما البصر في الحب انه القسطاس الاعلى
الذي توزن فيه فطرة المرء وطبيعته

وقالت « الدايلي ميل »^(٢) مقرظة الكتاب

« هذه الاشعار أزهار ابهى من طلعة الشمس وما ندري
كم عبثت الترجمة بروبقها الاصلي ولكنها على ما تجلت لنا
في الغاية القصوى من الجمال الرائع ... وأعجب بها من
مشاهد وفصولا ساذجة سامية عطيرة من رواية الحياة اليومية
ألدها الشاعر من البيان حلة سحرية

وقالت الديلي نيوز^(١) مخرطة كتاب البستاني « ان اشعار
هذا الكتاب تفوق الاحسن والافضل مما في قرايين الاغاني »
وهو شاعر ومعلم وواعظ ومفتي وخطيب غيور على مصلحة
بلاده راغب في اسعادها وانهاضها ومن رغباته قوله مصليا
الى حيث لا تتسكأ العقول وترتفع النفوس
الى حيث تنطلق المعرفة من عقالها
الى حيث تتحد المجاميع وتتوحد الكلمات وتزاح
جواهر الهيئة

الى حيث تنبعث الاقوال من اعماق الحق
الى حيث تتجه الجهود الى الكمال

الى حيث لا تفقد الرصانة والتعقل والحصافة سبيلها في
قفار العادات الميتة

الى حيث يسانس العقل بنبراس أقوالك الالهية
الى حيث تسطع سماء الحرية
الى هذه كلها اتوسل اليك ايها الاب ان تقود بلادي
في يقظتها الحديثة^(١)

وها نحن ننقل للقارئ القصائد الآتية مأخوذة من
كتاب البستاني الذي ترجمه البستاني الصغير - وديع -

بين صباحٍ ومساء

« وكان صباحٌ » : وطرحتُ شبكتي في البحر ، وفزتُ
بأشياء غريبة الألوان عجيبة الجمال : فمن شبّيه بالسمات
المتلائية في الثغور ، ومحاك الدموع المتألمة في العيون ،
ونظير لوجنات الصبايا

« وكان مساءً » : وتحملتُ الى البيتِ نائياً بأعباء
يومي ، وبنفسي أن اشتري راحة لي ليبتعب نهاري . وكانت
الحبيبةُ جاثمةً في قلبِ الحديقة ، تمزقُ أكمامَ زهرة أنيقة ،
بأناملها الرشيقة . وقفتُ بها وأحجمتُ طرفة عين ، ثم
أقدمتُ وألقيتُ ما بيدي بين يديها ، ولبثت صامتة ساكنة
أما هي فخركت طرفيها ورنّت الى تقدمتي ، ثم سلّطت
على شفّتيها ، عواملَ فكرها ، فتحرّكتا بما يأتي : « يا لهذه
الغرائب ! اني لا أؤنس لها معنى ، ولا جدوى ! »

فنكّستُ رأبي وتلتُ في نفسي : ويحي ثم ويحي !
اني لم أغنم تلك التّحف في موقعة ، ولا ابتعتها من سوق ،

فكانت غير الهدية التي تروقها وتليق بها
وقضيت ليلى تلك أسري همي ، وأساور غمي ، ملقياً
عني بتلك الهنات على قارعة الطريق واحدة تلو الأخرى
« وكان صباح » مرة ثانية : وإذا بأجانب غرباء جمعوا
شتاتها ، ونظموا منشورها وذهبوا بها غائمين

الى بحيرتي

« اذا شاقك عمل تعمله وشئت أن تملئي ابريقك
 فتعالي الى بحيرتي . ان ماءها ليحفّ بقدميك ويثرثر لها
 بسره . هوذا ظل الشؤبوب العتيد الانهمار فوق الرمال، وتلك
 غيوم متهادية فوق أعالي الاشجار ، وكأنها كشف الشعر
 فوق حاجبيك . اني لعليم بوقمات خطاك لانها خافقة في
 قلبي . ألا هلمي وتعالي الى بحيرتي ان أزمعت لابريقك ملئاً
 وان راقك ووددت التكاسل واللهو عن العمل وحلا
 لك اطفاء الابريق على وجه الماء ، فهلمي الى بحيرتي . ان
 ضفتها لخضرة بالاعشاب وقد نبت عليها من ألوان الزهر
 ما لا يحصى . هنالك تنطلق أفكارك من سود عيونك كما
 تتطاير العصفير من وكناتها . أما حجابك فيسقط الى
 قدميك . هلمي الى بحيرتي ان لم يكن لك نُدحة عن شيء
 من التكسل

ثم ان بدا لك أن تغوصي في الماء ، فتعالي الى بحيرتي

وهامي اليها . أما ازارك نخليه على الشاطئ ، فان الماء الازرق
كفيل بسترِكَ عن العيون ويشربّ الموج ويتناول ليقبل
عنقك ويهمس في أذنيك . فهامي الى بحيرتي ان لم تري لك
بدّاً من غوصة في المياه

وان حق عليك الجنون وهممت بطفرة الى حتفك ،
فمالك الا بحيرتي . هامي اليها وتعالى . انها باردة ولا يسبر
لها غور . انها المظلمة حتى كأنها نوم بلا أحلام . والليل والنهار
مبان في دركها البعيد ، والغناء صمت فيه . فهامي الى بحيرتي
ان أزمعت على حتفك غوصاً »

كلام معني

وهذه محاورة غرامية أخرى - بل رواية الحب والحياة ، واليك الترجمة الحرفية :

« ثقي في الحب ولو جرّ البلاء . ولا تختمي على قلبك (وفي الاصل لا تقفليه) »

- « لا ، لا يا صاح ، كلماتك مظامة ، لا أستطيع لها فهماً »
« ما القلب الا أن يُجاذبه (ويُعطى للسوى) (بين)
دمعة وأغنية ، يا حبيتي »

- « لا لا يا صاح ، كلماتك مظامة (معماة) لا أستطيع لها فهماً »

« اللذة (أو السعادة) شيء ضعيف كقطرة الندى ،
ينهاهي تبسم اذا هي تموت (أي ينهاهي تتلاّأ على الزهرة
اذا بها قد رشفتها حرارة الشمس فاضمحلت) أما الحزن
(أو الشقاء) فانه قويّ مقيم »

- « لا لا ، يا صاح ، كلماتك معماة لا أستطيع لها فهماً »
« ان زهرة النيلوفر تفتح على نظر الشمس ، وتفقد

كل ما بها (أي من أريج وحياة وروعة جمال كانت فيها قبل
أن تفتض أحكامها) . وانها على ذلك لا ترضى ان تبقى برعمة
محجوبة في ظلمة الماء الابدية »

- « لا لا يا صاح ، كلماتك معماة ، لا أستطيع لها فهماً »

الحب يا أختُ مثل الشهد علقه

ولا يحلّ لنا الا محرّمه

فسامي لي فؤاداً لا يسالمني

هذا فؤادي على كفي اسامه

لا يا أخي ماذا كلامك ذا

هذا كلامٌ معمّى لست أفهمه

يا أختُ ما القلب الا أن نضيّعه

بين الأغاني ودمع سحّ عنده

ان النعيم كطلّ فوق نرجسة

دمع البكاء بعينها تبسمه

ان الشقاء هو الحبلى المتين ولا
خوف عليه ولا يخشى تصرفه
لا يا أخى ماذا كلامك ذا
هذا كلام معنّى استُ أفهمه

النوفر الغضّ ان حياً ذكاءً ضحّى
افتضّ من كره ما كان يحتمه
اخت افتحي القلب واتعقب عواطره
فالخبّ حياك أسنانه وأضرمه
لا يا أخى ماذا كلامك ذا
هذا كلام معنّى استُ أفهمه

« أحبك يا حبيبي . فاغفر لي حي . أنا كالطائر ضلّ
سبيله فأسروه . وعندما اهتز فؤادي سقط عنه حجابي
وأصبح عرياناً . فاستره برحمتك وشفقتك واغفر لي حي
وان كنت لا تطيق أن تحبني فاغفر لي عذابي . ولا
تنظر اليّ من بعيد . والا فاني اتسلل الى زاويتي وأجلس

في الظلام . وبكلتا يديَّ استر عاريَ العريان . ادر
وجهك عني ، يا حبيبي ، واصفح عن عذابي
وان كنت تحبني ، يا حبيبي ، فاغفر لي فرحي . واذا
طما طوفان السعادة واحتمل قلبي فلا تبسم (ولا يضحكنك
موقفي الحرج) . وعندما استوي على « سريري » (عرشي)
واحكمك بظلم حي وعسفه ، وعندما أحبوك بنعمتي كآلهة
وأجود بها عليك ، فحينذاك تجمل وتحمل كبري وكبريائي ،
يا حبيبي ، واغفر لي المسرة ذنباً »

أنا أهواك يا حبيبُ ملياً
لا تكن أنت من هواي خلياً
أنا كالطير كان في الغاب حراً
حبسوه فبات يشدو شجياً

أنا أهواك فاعفُ عني ودعني
في هيامي وارحم غرامي الجنياً

فهو زهرٌ ترويه عيناى ليلًا
فتراه عند الصباح نديًا

سقط السترُ عن فؤادي لما اه
تزَّ حبًّا فبات يحيا حيا
يتوارى بين الحنايا كسيرًا
داميًا خافقًا خفوقًا خفيًا
أنت ألقِ اليدين سترًا عليه
آه رفيقًا به وعطفًا عليًا

ان تكن لا تطيق عشقي فغفوا
عن عيوني وارحم فؤادي الشقيًا
غض طرف الملام عنه فإني
لا أرى القلب بالملام حريًا
والى مخدعي أثوب وجنح الـ
ليل سترٌ أجيله يديًا

أو تكن عاشقي فصبراً واطفأً
بي واغفر ذنب المسرقة فياً
وتخال الفؤاد طار ليطفو
فوق نهر المني فذره هنيأً

واذا ما استويت فوق سريري
ربةً فاقترب خشوعاً اليأً
وتحمل دلي وعجي وغنجي
وتذلل وأذر الدموع لديأً
لا تنال الوصال مني رخيصاً
ان تكن في الغرام ذاك الغنيأً

ليت شعري ما ظن المرأة بقول شاعرنا فيها - أتراها
تنكره؟ واليها الترجمة الحرفية، ثم هي وشأنها في الحكم:

«أيتها المرأة، ما أنت صنع يد الله فقط، بل ان للرجال
في عملك ليدأ. انهم لا يفتأون يحبونك بحمال من قلوبهم

فالشعراء ينسجون لك من الخيال الذهبي كل جميل
رائع؛ والمصورون يهبون لشكلك خلوداً متجدداً

والبحر يفيض عليك دره، والمعادن ذهبها، وحدائق
الصيف ازهارها، لتزينك وتسترك، وتزيدك قيمة
ثم ان الصبوة التي في قلوب الرجال هي التي أبست
شبابك تلك الروعة المجيدة

أنت « نصف » امرأة و « نصف » حلم

« اذلك هو نداؤك من جديد؟ لقد خيم الظلام. وقد
تعلق بي الوني وأخذني من تلايدي، فكأنما يدا حب ممدودتان
للسؤال والتوسل. أتلک دعوتك من جديد؟

وكننت قد وهبت لك نهاري بطوله، أيتها الحبيبة
الظالمة، فما بالك تشائين ان تسلبيني ليلى أيضاً؟ لكل شيء
حد، ولكل بدء ختام، ووحدة الظلام ملك لا يُنتزع
ألم يكن هنالك بدءاً لصوتك من اختراق حجاب الظلام
والانتهاء اليّ؟

ألا يُسمع للمساء شيء من انعام الوسن على باب داركم؟

أو ليست النجوم التي لا صوت لا جنحتها تحلق في السماء
فوق برجكم الشامخ المتعالي؟ ثم أو لا تنساقط الأزهار
مائلة في حديقتهكم؟

ألم يكن لك بدٌّ من أن تناديني، أنت يا من لا يقر
لك قرار؟ إذن، فلنفسر عبثًا عينا الحب واتبكيا. وليضطرم
السراج في ذلك البيت المنفرد الموحش. وليرجع الزورق بالعمال
إلى بيوتهم. ثم اني مخلف احلامي ورائي وقادم اليك تلبية
«لندائك»

مجلد لطفي جمعة

حام من أشهر محامي مصر وشاعر من شعرائها وأديب من أدبائها
الكبار . تلقى علومه في مصر وأتم دروس الحقوق في فرنسا ولولم يكن
منصرفاً إلى المحاماة بكلية - علي ما يلوح لنا - لآرانا من آياته أكثر
من ذلك . ومع كل فهو يجود علينا من حين إلى حين بثمرة ناضجة . وما
الليالي والكلمات والأيام ونحوها مصر وغيرها إلا أثمار ناضجة جادت بها
قريحته الوقادة في أوقات فراغه

حديث العلا

الفسيد الاول

يا إلهة الشعر ! يا أشرف المملكات يا صوت النفس
والوجدان !

يا ملجأ الحزين ومؤئل الشاكي من بني الانسان !
يا أيتها النفس القوية الجميلة المجهولة يا ذات العطر
الضائع في كل زمان ومكان !

يا ترجمان الفؤاد ولسان القلب ومنطق الطبيعة !



الاستاذ محمد بك لطفي جمعه

أنت المعبودة التي لا ينأى عن تمجيدك الا ذوو النفوس
الضعيفة الجأمة أنت سيدة الآلهة في هذه الارض واشدهم
قوة وانصرهم شباباً وافصحهم بياناً

عبادتك ترجع الى القرون الاولى قبل ان يعبد با كوس
وقبل أن يسجد للزهرة

لقد انطقت لسان آدم الاول مذ التفت فبصر بمخلوق
جميل اسماء حواء

انت انطقت لسانه مذ نظر الى ما حوله من جمال
الطبيعة وحسنها فخر ساجداً

لقد ضقت بك ايتها المعبودة ذرعاً وانا اليوم لا استطيع
صبراً

لا أقدر على السكوت يا ربة الشعر فلا مبدل الى
الكتمان

لم تضعي في نفسي ميزاناً يزن الالفاظ ولم تمنحيني
مصقلاً اصقل به الكلام ولم تهيني زورقاً ذهبياً اخوض به
عباب البحر الشعر

لم تهينني نفوذاً شاملاً على المعاني الجليلة لتجيبني إذا دعوتها
لم تعطني موهبة من مواهب الشعراء السعداء الذين يعبدونك
فاعذريني إذا لم افخرهم بالفاظ كالفاظهم لها رنين في
الاذن وطعم حلوي الفم

اعذريني يا ربة الشعر إذا كانت المعاني السهلة المنال التي
اظفر بها لا تبهر من يقرأها

اعذريني إذا خلا تسبيحي اياك من الجلال والجمال
الذين لا يلىق في حقك تسبيح بدونهما

واعتقدي يا ربة الشعر اني اعشقتك واعبدك ولا انسك
في صحوي ورقادي !

قد يكون أقل العاشقين بلاغة أشدم غراماً
انت أيتها الالهة الجليلة التي تظهرين لي ساعة فتحيين
عقدة من لساني وترفعين غطاء من الاغطية الكثيفة التي
تجيب الحقيقة عن جنائي !

اني ابهج بكرك !
انت أيتها الالهة التي تقرين مني حتى اذا حاولت ان

ألمسك غبت وذبت أُمّامي كما يذوب الحلم الجميل قبيل اليقظة
أنت التي أملت عليّ إذ كنت باعلى الجبل قولاً بديعاً
واريتني أعظم ما يرى واستنزات على نفسي اسمي ما ينزل به
الالهام فلمحت بين النخيل عند غروب الشمس وجهها دام
برهة ثم اختفى . نخررت صمقاً ولما تنبهت لنفسي رأيت
رأسي على حجر ووجهي سابحاً في بحر من دموع الخشوع
والفرح

أنت ايتها الالهة ادركتني على شاطئ البحر وأوصيت
الحياة فاخذت اصرخ من أعماق قاي حتى كاد صوت الامواج
المتلاطمة يخفت بجانب صوتي

كنت ايتها الالهة أعبدك سرّاً واخفي امرك عن غيري
واليوم عجزت عن الكتمان فما انا أعبدك على رؤوس الاشهاد
ان العاشق يبقى زمناً ما كتماً حبه ووجده حتى اذا يئس
باح لعل المحبوب يشفق أو لعل العاذل برحم . انني اليوم
كذلك وان لم اكن يئست منك ولن اياس ابداً . جئت
أبوح بهواي لعلك ترحمين أو تشفقين !

جئت يا آلهة الشعر استعين بك على إلهة قاسية جميلة
مثلك . اعطيني قيثارتك وصوتك ! اعطيني وترًا من أوتارك
لا وقع عليه انعام النفس المعذبة !

ان الالهة التي أشكو منها واليهالاتزال في عنفوانها وقد
هرم الدهر . انها اهلكت الامم والاجيال وافنت الشجعان
والأبطال ولا تزال تتطلب المزيد !

ان لها في كل يوم الف فريسة . وتلك الفرائس كلها
غالية عزيزة . ولكن الالهة القاسية لا تعفو ولا تصفح . انها
تبذهن جميعاً وتهرق دماءهن وهي باسمه مسرورة لانهن
يذهبن سعيدات

ان تلك الالهة هي التي عبثت بسقراط وهنريال وقيصر
واتيلا وبونابرت وهوش

وعبثت بآلاف مثلهم من قباهم وستعبث بآلاف بعدهم
ولكن يظهر لي ان الفرائس الكبرى هي التي لا تعرف اسماءها
أما التي نعرفها فهي أصغر بكثير ممن لم تُذكر
ان هذه الآلهة القاسية تسمى « العلا »

بسمه الربيع

١

سمعت في الروض تغريد البلابل
ورأيت في طريقي زهرة البنفسج بين الاعشاب
وشعرت بحرارة الشمس القوية
وخرجت نفسي من نخبأها تستقبل الفصل الجديد

٢

الكون كله يتأهب للحياة
والطبيعة بعثت من رقدتها الطويل
والموجودات كأنها آلات عازفة
تشترك في احياء مولد الوجود

٣

دع الانسان النهم يجمع المال أو يشيد
ودع دولاً تحي وأخرى تموت

ودع الحكماء يقولون ما لا يعلمون
وهلم بنا الى الاحراش والحقول

٤

الايام تجري مسرعة ، بل الزمان يقطعها قبل الاوان
ولسكن كل مشرق شمس ادنانا من مولد الربيع
آذار رسول الجمال والنور
آذار ملك على الايام والشهور

٥

كالوالد الحنون يعد لولده مالا
كذلك آذار اعد للعالم جنة الربيع
صبغ افهام الزهور بالالوان الزاهية
ونقش اكمام الورد في الاوراق الخضراء

٦

سرت آذار في الكروم والرياض
ومنحت الزهور والثمار من قوتك ونفحك
ووهبت الاعناب رحيقاً من خمرك

وطوقت التفاح بنطاق من ذهبك

٧

آذار انت طيب الطبيعة

انهضتها من فراشها بعد طول الرقاد

وسيرتها في موكب عجيب لفت انظار الآلهة

كل كائن يعزف على آلة مطربة وكل زهرة كأنها علم

منشور

٨

ان الخزامى والنرجس والاححوان والياسمين تنيه بقدها

ولونها وريحها

والبلبل والقنبرة يتفاخران بحسن الصوت

والارض فرحة بحياة أطفالها

والشمس تضحك معجبة وتجود بحرارتها ونورها

٩

يد الله يا آذار باركت في ايامك . أنت نبي بين الاشهر

في كل ليلة من لياليك تلد الطبيعة نباتا جديداً

وتُسمع في الغابات نغمة عذبة
كل يوم من أيامك يكمل زينة الارض العروس

١٠

لما اخترقت اليوم طريق الغابة وسرت على الاوراق
المنشورة

شممت رائحة الربيع في الاغصان
الفصل الذاهب تحت أقدامي والفصل الجديد

محيط بي

أفواه النهرات تتدفق وكأنني لمحت في الغدير
روح الماء

١١

آذار أعددت مجلس الربيع وشفيت الكون من
علة الشتاء

واحيت النبات والحيوان

وأوقدت في نفسي شعلة الحياة

وذهبت ولم ترجع الا لشيء !

١٢

تلاك نيسان فورث مجدك
كذلك لا يحظى بفوائد الاشياء من بذل نفسه في

صديليها

افضل الناس من كان بينهم كآذار بين الشهور
سعادته في انه أوجد الربيع وقضى قبل أن يذوق الثمر

الحقيقة

يا معبودتي المحبوبة خذي قيثارك وغني لي اغاني الحرية
واشعلي نفسي المعذبة ببارك المقدسة واسكريني بخمرك
الابدية

وخذي حكمتي وتجاربي لئلا يعوقني العقل عن نيل
الاماني

العقل جبان يقيد اللسان ويعمد سيف الفتوة

لا يفوز الا ذوو الاقدام . الارباب تلهيهم شجاة
ابطال طرواده

والجن تنفخ في ارواحهم وتدفع بهم الى حومة الميدان
قاي لا يسع الا حبيباً واحداً هو اشرف محبوب ودواماً
يلهج بذكره

كنت اهاب الموت في سبيل حبه واليوم اود ان
افديه بنفسي

نفسى تطهرت من شدة الآلام . وهمومي جلت صحيفة الجنان
ايض فؤادي من سواد الليالي وتبدد الظلام عن بصيرتي
لكل كلمة اسمعها وقع جديد ولكل حركة في الكون
عني يشغلني

معجزة الحياة والموت اعطتني سرها . والعقل الاول
يفيض علي من نوره الخالد

الطبيعة ان ماتت بعثت والنفس ان شابت شبت
أيتها النفوس الخالدة ان لم تقطني الى سر الوجود هلكت
وان فطنت ازداد تعذيبك ومستك نيران سوف تكون
آلامها نعيما

لان عذاب النفس العالمة الذ من نعيم النفوس الجاهلة

ليالي العلام ليالي الغرام ؟
عني ايتها الافاعي المطيية واكسري كؤوس الخمر
العسجدية !

وابعدي عن ملامس كفي جسومك الناعمة واختفي عن
عيني بحسنك الساحر
وخلي فؤادي خالياً من الخيالات الارضية التي تعمي البصائر

ذقت مرة رحيق العلا ! انه شراب الارباب والمطهرين
سكرت فنسيت كل الدنيا فكأن الحقيقة اشقتني
رضايها !

لم اود ان افيق لئلا تقطع عليّ اجلامي
هل يترك الجنة من ذاق لذتها وهل يعتمد عن الحقيقة
من لمسها !

محبوبي الجميل اسير ومكبل بالقيود ودموعه ملأت نهراً
جارياً !

كلما أرى محبوباً سواه حراً يزداد بغضي للعاذل الغادر
واريد سحقه

كيف يسحق عاشق عاجز عدوه القادر ؟

ولكن حب موسى أهلك فرعون العتيد

يا رب موسى وداود !

هبني قوتهما جميعاً واجعل قوة العاذل أقل من العدم !

ويا آيتها الارباب القديمة القاطنة الكهوف والهياكل

الخربة لماذا تركت زهرتك تذبل وتذوي ؟

ويا حارس الارض المقدسة الرابض في القفر هل آن

تبوح بسرك الاعظم ؟

افقر الناس اغنام . وأكثرتهم تواضعاً أرفعهم

وابعدهم عن المجد اقربهم اليه . واسماهم حباً أدناهم من

الآمال

ليس لي في هذه الارض قيد اصبع ولست املك من

مائها قطرة

تملاً الكل واتحدوا على المحبوب ولكن هل يعجزون

الا انفسهم

يا طلاب الدنيا الزائلة ويا عشاق الذهب الحثير !

ويا منافقون في سبيل اقدر الاشياء ويا مفرطون في

أعظم النعم !

كيف تنامون ونور الحق سيبدد اوهامكم ويهزأ بأمانيتكم

الفارغة

في كل عام يفيض النهر فتترجرج امواهه الحمراء بين

ضفافه الغناء

حتى اذا اطعم الارض وسقاها اندفع ليزيد ماء البحر

كأنه نفس تنضم الى نفوس خالدة لتزداد بها سعادتها

معجزة النهر ترجع الى طفولة الارض وتكاد تنتهي

الارقام دون حساب عمره

ولكن انت ايها الانسان الزائل لا تفيض الا مرة واحدة

ثم تقيض حياتك مرة واحدة
فهلأ كنت كالنهر ما دام شبابك زاهياً
هلا وهبت نصيباً من حياتك للارض الطاهرة ؟

كانت إلهة المجد تفتني فاصبحت افئتها لا نني زهدت فيها
آمالنا تم اذا اقتنعنا وما دامت مطامعنا دام عذابنا
يطول عمر من يطلب الموت ومن يفرون منه يلحق بهم
حياتنا لها قيمة في ذاتها فدعني من قصة الجحيم والجنة

محبوبي المسكينة ترتجف في يدي وتبكي . ماذا بك
اليتها المحبوبة ؟

ان اسمك يذكرني بفتيات المدينة الخالدة
وشعرك اسود طويل لا ينقصه الا صفائر اللؤلؤ
وعيناك أجمل من عيني سافو الشاعرة المجنونة

انفك كأنف كلوبطرة . وثعرك حق مملوء بالجواهر

وجسمك كأنه صنع ميلو الذي اودعته الطبيعة قوة
الخلق فباراها
ولكن قلبك الصغير قطاة تفتأ تحفق بجناحيها
هل لديه سرٌّ يريد اظهاره ام به شوق للوقوف على
اغز الوجود

تبيكين لآلامي ؟ كفكفي انك تزيدنيها بلا علم
وابقيها لتدرفيها في الايام القادمة
ان دموعك لؤلؤة فلا تسرفي . واشفقي فان حرارتها
تحرق قاي
انني أعرف آلامي وهي تعرفني . ولكن انت لا تعرفينها
فا بتسمي

قد يبدد الغيوم الكثيفة شعاع دقيق وقد تزيل احزاني
المتراكمة بسمه من فمك

ياربة العلا تقبلي ما كتبت هدية مني

صحبتي طول عمري واسهرتني ليالي طوالا
بنيت لك في قلبي معبداً سامياً ودونت لك صلاة
فتحت فيها خزان نفسي
لا أدعو غيري للدخول في دينك لانك الهة قاسية !

باركيني يا إلهة العلا واغفري ذنبي
ان نلت رضاك وأردت جزائي فخير جزاء ان تتركيني
وشأني
لا تغاري ان بحت لك بسري ان قلبي تشغله محبوبة
جديدة هي اسمى وأجل منك واسمها الحقيقة !

النشيد الخامس

أين العدل الذي تدعون

هل يأتي يوم نفتح فيه قلبنا ونشكو همومنا لمن
نحب؟ أم نزل الى قبورنا صامتين كاتمين أسرارنا في افئدتنا
الحزينة

هل يأتي يوم ننظر فيه الى الماضي باسمين بسمة ربان
السفينة بعد العاصفة عند اشرافه على ثغر امين يلجأ اليه فيقيه
كل خطر

هل يأتي يوم ننظر فيه الى الماضي السحيق نظرة الاطمئنان
والفوز بعد الصبر المكلل بالظفر

اجيبيني أيتها النفس فقد عودتني الاشراف على المستقبل
واخترق حجب الغيب . اجيبيني ايتها النفس ماذا ترين مخبئاً
لنا في ثنايا الايام وزوايا الزمان

كم حدثتني بحوادث صادقة وكم نبئتني بما لم يكن لي به
من علم

اني أراك تتردد بين الشك واليقين . أراك تحتلج بين
بين النور والظلام

سبيلك اليوم غير واضح ودربك وعر والخطوة التي
رسمها لك الدهر غير جلية

مسكينة انت يا نفسي . لقد أمرضك الصبر الطويل
واضعفك التمني والتعليل

رأيتك قديماً ذات أجنحة من العزم والهمة وبصر نافذ
كأنك استعرت من نور منرفاً وقلب قوي يقودك بجأش ثابت
الى أصعب المعارك وأوعر السبل فكنت تحلقين باجنحتك
وحيدة كالنسر الجليل الى أرقى سموات الفكر البشري وتخرقين
يبصرك الحاد حجب المجهولات والخفايا وتقاومين بقلبك
أشد العقبات وتتغلبن عليها . كنت يا نفس مملوءة بقوة الشباب
كنت بين النفوس بكرّاً ذات جمال وعفة

أما اليوم فقد نالت منك الخبرة منالها واقتنتك الايام درسا

مرأً . فقللت من حدتك وألانت من شدتك وعامتك
الوقوف عند حدك

ولكن أيتها النفس هل لك حد تقفين عنده ؟
هل هناك افق ينتهي لديه بطشك ؟ هل في الكون
كله دائرة لا مجال لك وراءها ؟ كلا ، أيتها النفس ان العقل
والحق والعدل والطبيعة كلها تبيح لك الكل لانك الكل
في الكل . انت سيدة مطلقة ومالكة متصرفة فيما يقع تحت
حسك من سماء وارض ونور وكواكب وبحار وعوالم خفية
لا أراها انا وترينها انت بعين ترى كل شيء ولا يغيب عنها
في الوجود ذرة !

يقولون الانسان حقير في جنب الخليقة وانه أقل من
ذرة حيال العوالم الكبرى . كذبوا أنهم لا يعلمون . قد يكون
الانسان حقيراً بجسمه وليس الجسم في نظري شيئاً مذكوراً
ولكنه عظيم بنفسه وهي كل شيء

هل لنا غرض عظيم نسمى لنذكره . هل للانسانية التي
قضت الوف الالوف من الاجيال في جهاد ضد العناصر

الاولى وضد قوى الطبيعة الظاهرة والسكينة غاية كبرى
يسير اليها من يبقى من البشر ممن لا يهلكون في الطريق ؟
أم نحن مخلوقون عبثاً للتعذيب والفناء ؟

لماذا ترفع الاصوات في كل صباح ومساء بالصلاة ؟
لماذا تشرق الشمس وتغيب ؟

لماذا يسعد قوم ويشقى آخرون ؟

لماذا كونت هذه الارض وملىء سطحها ماء وتحت
الماء نار تتأجج ؟

لماذا يُساء الى البعض ويحسن الى الآخرين ؟

لماذا يراد بالبعض شر ويريد الله بالبعض خيراً ؟

لماذا يتحكم الانسان في اخيه الانسان ويساعد الظالم

كثيرون يمتنون المظلوم بالهناء والرفاء بعد الممات بسنين

لماذا يذنب البعض فيجني غيرهم ثمار ذنوبهم ويحتملون

ما كان مقسوماً لهم من عقاب وعذاب أليم . أليست هذه

قسمة ضئلى وظلم عظيم ؟

ترى تنسى ذنوب من نريد التكفير عن سيئاتهم ؟
ترى تمحى خطاياهم ويبقى لنا نصيبنا من التعذيب ؟
انهم يقولون في الكون عدل وميزان لا يعتريه اختلال
ولا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . ويرفعون
اصواتهم مهللين كلما انتقم الحكام من مجرم أو كلما وقع ظالم
في مخالف مظلوم

ولكن مكانكم ايها الناس ! هذا الذي تهللون وتكبرون
لاجله ليس الا من نوادر الحوادث ومستثنيات القواعد .
انهم انتقموا اليوم من مجرم اوقعه سوء حظه في ايديهم .
ولكن كم مجرم يقترب افضع الذنوب فلا يرى او لا تناله يد
العقاب

وان انتقمتم اليوم من ظالم لمظلوم فكم وكم من ظلام
فروا ولم تنلهم يد العدل الذي تدعون . وكم من ظالم يعاصرنا
نرى ونسمع ونلمس فظائمه ولا نستطيع ان نقول له مكانك
لانه قادر ان يسحقنا بقوته

ان امما لا تحصى ولا تعد لا تزال باسرها في اسرها . ان

اجيالاً من السنين مرت متواترة متعاقبة على العالم وهو يئن
من ظلم الظالمين فاهرقت الدماء وازهقت النفوس وانتهكت
الاعراض واهيئت الحقوق . فأين كان العدل الذي تدعون
تقولون ان ذنوب القرون الاولى انتقم لها في القرون
الوسطى وذنوب القرون الوسطى انتقم لها في العصر الحاضر .
قد يكون هذا ولكن لقد جاء العدل متأخراً . وماذا يعود
على المريض اذا اسعفه الطبيب بالعلاج وهو دفين ؟
بل ماذا عاد على المسيح من العدل بعد ان صلبوه وماذا
استفاد جاليليه بعد ان قذفوا به من حلق . وميشيل سرقيه
بعد ان احرقوه ؟

الناس ألهموا الاول وعبدوه ومجدوا ذكر الثاني وعظموه
واقاموا للثالث تمثالاً نكايَةً فيمن ظلموه ولكن ألم يقل
المسيح وهو يختصر

يا الهي لماذا تركتني ؟ ألم يدق عنق جاليليه وهو
مكتشف دورة الارض . ألم يحرق سرقيه حياً وهو أول قائل
بدورة الدم . ماذا أفادت الاول عبادة الناس له والثاني تبجيلهم

ذكره والثالث اقامة التماثيل ؟
ان هذه الجرائم تكرر في كل عشية وأصيل . وكل
جيل حافل بذكر فظائمه ومظالمه . فلو قلنا ان العدل جاء
متأخراً في بعض الحوادث فلماذا يجيء متأخراً فيما يتلوها .
لماذا احترقت جان دارك ولماذا ذبح دافل ولماذا عذب ايوب ؟
ان الناس ينقمون من محاكم الارض البطيئة اخطأوا
فلينقموا على محكمة اخرى فانها أبطأ المحاكم !



الفيلسوف الشاعر امين افندي الريحاني

الريحاني

فيلسوف من فلاسفة العصر الحاضر مشهور في أوروبا وأمريكا أكثر من شهرته في مصر وسوريا

ولو كان الريحاني غربياً ونبغ هذا النبوغ في أبان نهضتهم - كما هي حالتنا - لكان له مقام غير مقامه في بلاد الشرق . وكفى للشرق عقاباً أن يؤثر الريحاني الكتابة في لغة عربية

إن الريحاني لم يكتب في غير لغتنا العربية الشريفة إلا لأنه يجيد الإنجليزية أكثر من العربية - وإن كان ذلك حقيقة - ولكن لأنه يجيد من أقبال القوم هناك أكثر مما يجده من أقبال القوم هنا

لم منا قرأ الريحانيات ولم مرة طبع ولم منا قرأ *The Book of Khalid* و *The Harim* أو ترجمة رباعيات أبي العلاء ؟ ولم منا سمع أن للريحاني رواية إنجليزية تمثل في أكبر مراسع لندن ونوبوروك . مع كثرة وجود الذين يجيدون الإنجليزية بينما

والريحاني مثال في التساهل الديني وقد أعجبني قول أحدهم في مجلة سر كيس - يفيظني ألا يكون الريحاني شيخ اسلام وحاخام يهود ومطران نصارى في آن واحد

ولعله أول من كتب « الشعر المنشور » في اللغة العربية

غصن من الورد

ركبتُ في الامصار البعيدة هواي وأرحته من عنانه
غرسْتُ في بساتين الغرباء حيي فنور قبل أوانه
غرسته في أرض سمراء جديدة فناحت عليه زهور
زمانه

طرحته بذور حيي جزافاً ذات اليمين وذات الشمال
طرحتها في سهول الحرية فاحرقها قيظ الفوضى وداستها
أرجل همجية

طرحتها في انجاد العلم فاييس ما نبت منها الصرُّ وحملت
رياح النزاع البقية الى حيث لا أدري

طرحتها على شواطئ نهر الفلسفة الراكدة فذوت في
ظلاله الظليلة — ماتت لانها لم تر نور الشمس

غرسْتُ حيي في غياض الحضارة الغيضاء فادمتها الاشواك.
خنقه العليق . قتلتها الجذور السامة

غرسته في أرض الاحياء والخللان فمات بالاستسقاء من

مستنقعات الكذب والرياء

غرسته في حقول التجارة تجاه طواحين التمدن بين
بيت الصراف وبيت الكاهن فتواطأ الاثنان عليه ومدّا
في قلبه البلاط رصيفاً للصوص

لاوائك اللصوص الذين يؤاكلون ويشاربون القضاة
ذهبت بحبي الى الفقراء والبؤساء فغرسته في ارضهن
الجدباء فلم ينبت

غرسته قدام بيت ام الحي فاقتلعتة ورمته بوجهي وهي
تقول : اذهب في طريقك . جاءنا قبلك مغرورن فقتلوا
— صلبوا — حرقوا . نطلب انصافاً وعدلاً لا تعزية ورحمة
جزت حي البؤساء الى مغاور اللصوص والاشقياء .
الى المنبوذين والممقوتين

ذهبت فغرست بينهم غصناً نضيراً من حبي فعاش
قليلاً نحيلاً ومات قبل ان يبلغ أشده

في ظلمات قنوط المنبوذين قضى نحبه . دخان تجديف
الجاحدين أعماله . خنقته روائح بذاة اللصوص والقتلة فكفنه

الفاجر بلعنته وجلقت الفاجرة فاهما فوق جثته
هجرت المدن وهذه المدينة وركبت البحار
نثرت على المياه حي كما تنثر شمس تموز الماسها وآليها
نثرته صباحاً فتلونت الأمواج من شهواته . نثرته مساءً
ومتوهجت من نيرانه الآفاق

كلم حي السحاب فاجابه . دعا البحر فلباه
لمس حي الآفاق بانامله فارتعدت وتموجت مبهجة
ومتوهجة

في صبح يوم من أيام الربيع بعثت حي رائداً في صحراء
جديدة فمضى ولم يعد اليّ

ناديته من قم لبنان فلم يحبني
فذهبت عليه في الآفاق وورائها في مشرق الشمس
ومغربها فلم أجده

تركت حي يهيم ثانية على وجهه
فركب هواه مرة أخرى وتركني اتحسر واتأسف

عليه . آه عليَّ أواه عليه

في وطني في ارض اجدادي في التربة التي ذاقت قديماً
حلاوة ضربة معول رجل قوي . غرست غصن ورد طري
غرسته والآمال تدفعني والعزم يعقد شفتي
غرسته في مكان عزيز جعلته في حرز حريز بعيد عن
الحضارة والناس . لا فرق عندي الآن ان سممت مسامعهم
وان فتحت

لا يهمني ان استحجرت قلوبهم او استحال طيناً او
ذابت ماءً معيناً

انت ايتها الارض امي وسأفرح يوم تضميني الى قلبك
كما تضمين الغصن الذي انا الآن غارسه

أنت ايتها الارض حية أبداً — ابداً تجلين وابدأ تلدين
مهما كان ظاهر ك فالشعور فيك لا يموت . النار في
قلبك لا تحبوا

الخریف يزيل الوقر من أذنك والشتاء يلين قلبك

والربيع يحرك لسانك والصيف يريك ثمرة احشائك
ومن أفصح منك في الربيع واكرم منك في الصيف
من أعظم تهيجاً وعطوفاً منك في الشتاء . من أشد سمعاً
في الخريف

من أرحم منك أيتها الارض . من ألطف وأشفق وأحلم
تقبلين منا الاقدار وتعطينا عوضها الازهار
تستنشقين تنانة أمراضنا وروائحها وتعيدنها الينا شذاء طيباً
تسكب لك السماء كأساً من الماء الزلال فيعكره
الانسان فتفيضين عليه مكافأة خيراتك ومراحمك
ارض أجدادي افتحي الآن لي قلبك
لا تجهمني . لا تعبثي برجائي وعملي . لا تحبسي حي
عني دهرأ

ايتها الارض التي نحبها أبي وصات تحت أشجارها أمي
لا تودعي آمالي الصخور . لا تحمليها الى قمم الجبال فتموت
هناك من الثلوج وشدة الرياح

على كتف هذا الوادي الذي ردد صدى صراخي
وغنائى صغيراً في هذه الارض التي هجرتها قبل ان هجرتني
الصبوة غرمت غصن ورد طري

كلمت الارض بيدي لا بلساني . حصبتها ونقبتها
بعمولي الصغير

طعمتها من ذاك الاسود الذي تفرزه المواشي ومن
ذاك الاصفر الذي يكاد يشتعل في الصحراء من قبلة الشمس
ويكاد يذوب على السواحل من قبلة الامواج

سقيت غصني من ماء الفؤاد وحجبت عنه النور في
ايامه الاولى

رفعت فوقه سراق ودي وهيامي ونثرت حوله في
الشتاء اوراق الخريف البالية

ولبثت اذ ذاك انتظر جواب الارض وحكمها
كم مرة زرت غصني وهززته مستخبراً فلم تبدُ عليه
الا اشارة الموت ولا علامة الحياة

كم مرة افتقدته وقلبت فيه الطرف مستقصياً اخباره

كم مرة وقفت امامه والفؤاد يتموج بين اليأس والرجاء
تباركت ارض أجدادي فقد حسن في عينها اجتهادي
تباركت ارض امي فستريني الورد على غصن تعبي وهمي
نعم الارض كلمتني . اجابت الارض مسؤولي . رددت
الارض صدى حبي

ها ان غصن الورد ينطق كالطفل
بدت على شفثيه لفظة الحياة واثمرت في قلبه الكلمة
الحية التي تساقطت عرقاً من المائي ومن جبينه
في فمه لؤلؤة صغيرة ملفوفة بلفافة ذهبية . وفي صباح
الغد تستحيل لفافة لازوردية وتبدو اللؤلؤة زمردة
نخيفة ندية

وبعد غدٍ أو بعده ينشأ من الزمردة صدفة خضراء في
قلبها بحور من الورد لا ترى واجيال من الحياة لا تعد
في قلبها أوراق خضلة صغيرة ملتفة حول عرق نحيف
طري لا يعرف بعد اسم الشوك ولا معناه
في قلبها أغصان وفي قلب الاغصان ورد وفي قلب الورد

بذور وفي البذور الابدية والخلود

كلمتني ارض أجدادي . احيت في الرجاء ضمت الى
صدرها طفل حي وانعشته بعد ان كاد يموت
نفخت فيه من روحها الازلي فتحرك لسانه
هو ينطق بما تلقىه اليه من آيات الحب والجمال والحكمة
والرجاء

اين فصاحتي من فصاحتها
الارض لا تنطق الا لتحيا . لا تتكلم الا لتزهر وتثمر
ما قالت « لا » بزمانها قط . فان كان جوابها ايجاباً
« فنعم » وان سلباً فسكوتاً ابدياً

كل آياتها جميلة كل أقوالها منعمة محمية
ولييتها تعلم بنيتها القول المثمر المنعش الجميل
اوليتها تعلم بنيتها السكوت

كأني بالارض تقول : ليكن عندك ذرة من الايمان

فيّ واعطني ساعة من العمل فاعطيك عوضها مئة بل الف ضعف
من الحب والرجاء من السرورة واللذة من العزم والنشاط من
الحياة البسيطة النقية التي لا سعادة للانسان الا بها

كل جرثومة على غصن الورد الذي غرسته هي لفظة
من الفاظ الارض العذبة . هي رسالة حب الام لبنيتها
كل برعم من هذه البراعم هو عقدة من عقد الكون .
هو سر من أسرار الحياة

في أي عصر ولدت ايتها الوردة . أي أرض شاهدت
أول زهرة من ازهارك واستنشقت أول نفحة من اريجك
من زرع بذرتك الاولى . من غرس أول فرع من
فروعك

أول غصن من أغصانك الاصلية الاولى — من نقله
من الحقل الى البستان من الوادي الى حديقة الانسان
ايتها الوردة البرية بل الوردة السرية من أي دغل
نشأت وفي أي سلم من النباتات الشوكية رقيت

لا تتكلم الارض الا الغازاً . الارض لا تأتمن بغيرها على
اسرارها

احترز من شرك العلة الاولى . لا تبحث في أصول
الاشياء

متع نظرك ونفسك فيما تراه وتسمعه وان شئت الدخول
الى هيكل سر الاسرار فتجرد عن الجسد قبل ان تطأ
اسكفة الباب

اني لأجد لذة شهية غريبة في مشاهدة هذه البراعم
الجديدة وفي مراقبة نشوئها ونموها
عددتهم والله مراراً كما تعد الام أسنان طفلها
افتقدتهم مراراً كما تفتقد الطيور عشوشها
تلهفت وأي تلهف على برعم واحد نثرته الرياح منها
ولكن زمن السرور قصير . تكاد زبدة الاشياء تذوب
قبل أن تجمد

أواه صرت اخشى الاقتراب من وردتي فقد أثت
فروعها والتفت اغصانها وقسيت أشواكها
أواه صرت انظر اليها بغير العين التي شاهدت نشوء
براعمها وفروعها
لهفي على وردة الحياة . تريني الف شوكة قبل أن تفتح
بنفحة واحدة من شذاها
تجرحني مئة مرة قبل أن تعطيني زراً واحداً من
أزوارها

النفس الراحلة

تذكراً لراحيل دريان المتوفاة في ١٣ آذار سنة ١٩١٠

على ابواب الجنة تنتظر الارواح احبابها
بل تنتظر الاحباب ارواحها

آه على المحبين . المودعين والراحلين

أقف عند جثماني . لا ودع أصحابي وخلاني

ومن فوق نعشي . احي الاعزاء المودعين

تخذت الموت منبراً . فرأيت من علاه ما لا ترون .

وسمعت ما لا تسمعون

جموعٌ مثلكم يعولون في شمال الارض وجنوبها .

وأرواح مثلي ينتحبون في السفينة التي تعبر نهر الموت والحياة .

من ابناء الارض عظماء وعظيمات

هم رفاقي الآر الى الجنان

فلا تيأسوا ولا تجزعوا

الموت خرافة مرهبة . الموت صورة فانية . الموت
منبر الخلود . الموت هو الدرجة الاخيرة من سلم العذاب .
فليم تنحبون . أيها الاحباب

على ابواب الجنة تنتظر الارواح احبابها

بل تنتظر الاحباب ارواحها

آه على المحبين ، المودعين والرحلين

ما بالكم تنحبون . اواه ودمعة الفراق من يفكر بها .

دمعة الوداع من يجهلها ؟

دموعكم كالوابل المتساقط على بحر هاجت أمواجه

دموعكم تسكن الرياح

دموعكم تنور حول الراحين زهراً وتتكون في صدف

الحب لؤلؤاً ودرأ

دموعكم نور يضيء ساعة الفراق المظلمة الموحشة

دموعكم تنقط كلمات سفر الحياة

دموعكم أزهار على ضفتي نهر الاحزان ودموع الراحلين
طلَّ في كؤوس هاته الازهار
آه على المحبين المنتحبين . المودعين والراحلين

ساعة أزمعت الفراق . بدت لي أشياء من هناك —
من وراء الكواكب والاقار
ساعة علت صيحة الاحباب . رفعت اليّ أعلام جميلة
من خلال الضباب
على ضفاف انهر الابدية . في ظلال السدر الندية .
رأيت الراحلين . على فرش من السوسن متكئين . وسمعت
أطيّاراً تغرد حولهم . « الى حين ايها المنتظرون الى حين »
في تلك الظلال احبابي حيث الورد لا يذوي والربيع
لا يزول
حيث الحب يلعب متلهياً عن التناهي في جمع أصداف
الحزن ولؤلؤ الرجاء
هناك على احدى الروابي . انتظر احبابي

وانسج لهم من أزهار الدُّمُوع والسُّرُور . أكاليل مجد
لا تبور
وادخل وياهم بيتاً جميلاً خالداً من الحب والحبور

على أبواب الجنة تنتظر الأرواح احبابها
بل تنتظر الاحباب أرواحها
آه على المحبين المنتحبين . المودعين والراحلين

أنا غريبان ههنا

أو

جمعة الآلام

كلمة همسها النسيم في أذن رعاة الجليل فسمعتها الدهور
ورددتها الاجيال

كلمة من أغصان الزيتون في أورشليم زالزت العروش
واسمعت ملوك الارض صوت ذي الجلال

كلمة زرعتها دموع المرأة تحت الصليب . فنورت في
السماء وكان فيها مسك ختام النحيب

هي كلمة الربيع في كل عام . بل نشيد الاطيار على
الدوام . بل أغنية الازاهر في الحقول والآكام

وان أنفس الناس النبيلة . لتجسد في مظاهر الربيع
الجليلة

ان في كل نفحة من نفحات الربيع . روح بشر
عظيم وديع

ان العالم في هذه الايام . يحتفل بفوز أمراء الحب وملوك
السلام

وان اكليل الشوك لا عظم من تيجان القياصرة . وكأس
المر لا طيب من خمرة الا كاسرة — وقد يدرك هذا الانسان
فيظل من عبيد الزمان بل من أسراء الغرور والبهتان

جئت الكنيسة لاردد اليوم مع الناس . ذكر أمير
الناس . بل ذكر الحقيقة التي يعز نصرها بالعذاب . وتحلو
بمر الشراب

دخلت الكنيسة وفي نفسي من أحد النخل والزيتون
ما لا ينسيني اياه يوم الجمعة الاليم
بل في نفسي من السرور والابتهاج ما لا يضاهيه فرح
الناس في العيد العظيم

ان في هذا اليوم يجتمع القمر والشمس . فيشرق الغد
على المستقبل . ويشرق على الحاضر الامس

في مثل هذا اليوم وُلد على الصليب الكريم . روح
بشر صميم

انه ليوم حبور ايها الاتقياء . لا يوم حزن وبكاء . بل
لبس ورياء

وانما نحن في جنازة المسيح . وهذا وربي تجديف قبيح
ان وراء ذلك الستار الاسود الصليب . وامامه الآباء
ووجه كل قطوب كئيب
هم يحزنون من لا يعرفون . بل يدمدمون وينمبون .
والناس اليهم شاخصون

ويلاه أنا الوحيد الذي لا يرى ما يراه الآباء . ولا يشعر
بما يشعر به هؤلاء الاتقياء

ها قد مشى في الجنازة المدمدمون . وهم في الكنيسة
يطوفون

وهذا الصليب . وقد تصاعد وراءه النحيب . وامامه
البخور والطيب

وصل الموكب اليّ . فما جثوت على ركبتني
سرحت في الناس نظري فرأيتهم كلهم ساجدين .
ورأيت بمقرب مني رجلاً آخر من الواقفين
فقرأت في وجه هذا الغريب ما خالج قلبي الكئيب .
وصرخت ساكتاً - الهنا . انا غريبان ههنا
ثم كلمت الغريب فقلت - ولم الجناز . ومن صاب
قد فاز

ولم هذه الصلوات المبكية . وقد أشرقت على الارض
ابتسامة إلهية . فمال بالنظر اليّ . ولم يحبني بشيء

ها قد دفنوا الصليب تحت الزهور . وانجلت غيوم
البخور

وظفت الشموع . وكفكف المدمدمون الدموع
خرجنا من الكنيسة انا والغريب . ونفسي تناجي ذاك
الحبيب

فسرنا معاً الى بستان من الزيتون خارج المدينة

وجلست تحت شجرة هناك فجلس الغريب الى جانبي
نظرت اليه ونظر اليّ . وقد استولى علينا السكوت
والحي

فكأننا حبيبان . فرّق بينهما العرفان . فجمعهما الحب
والحنان

وفي مثل هذه الساعة تفسح اللحاظ . عما تعجز دونه
الالفاظ . على انني حرت في امره العجيب وقلت في نفسي
من ياترى الغريب . وما كاد يخطر ذلك في البال . حتى
وقف امامي كالخيال

فعرفت الطيف في الحال . وقد انكرته في شكل
الرجال

وناديته مدهوشاً اخي - رفيقي - سيدي - هذا فؤادي
ها يدي . نفحةٌ من جنانك . كلمة لاخوانك

أسمعت خدامك ينعبون
ألتما لك الناس يسجدون . وهم عنك بعيدون

سيدي دعني ألقى على كتفك رأسي . فيذوب ثلج
فتوري ويأسي
اقربي من فؤادك . لا تزود من الحب الذي لا يعرفه
أحد من عبادك
سيدي اسقني من الحرية والحق والاخاء ما لا يشوبه
الخوف والرياء

وبين انا ا كلمه في البستان . طل البدر من شرفة لبنان
فتركني ذو الجلال . مكانه كالحلال . وذاب في القمر
فوق الجمال

فؤاد^(١)

١

عند مهد الربيع

عرفتك قبل ان اخضرت من نسמתك الاولى صدور
الحقول وجوانب الربى
وقبل ان نور المهد من حر شفتيك
وقبل أن بدد نور عينيك غيوم الشتاء فهدأ البحر
وانجملت السماء

عرفتك قبل ان حاكمت لقصورك الجبال طنافس المصفر
والاقاحي والخرامى

(١) ابن أخته فؤاد يوسف صادر ولد في ٢٧ نيسان سنة ١٩٠٨

وتوفي في ٢٠ ت ٢ سنة ١٩٠٩ فاستقبله بالقصيدة الاولى وودعه بالثانية

وقبل ان اعدت لسريرك النمارق من الرياحين وريش
الصنوبر وشقائق النعمان
وقبل أن ملأوا كأسك من دهن اللوز وماء الورد
وعصير الرمان

عرفتك قبل ان نصبت لك العاصفة الاخيرة قوس
نصر من دمها ودمعها وزفيرها
وقبل ان ولت من الغيوم الباكيات واقبلت الضاحكات
تجر ذيولها الفضية فوق صنين
وقبل ان لحفتك شمس الضحى باشعة الحب والحنان
وقبل ان رفعت فوق سريرك عند الغروب قبة من
نورها الولهان

عرفتك قبل ان سدلوا على وجهك نقاباً من النمام
يحجبوا هناك هنيهة رب الانام
عرفتك قبل ان عرفت عينك معنى الدموع واسرارها

وقبل ان ذابت عن اهدابك الثلجة الاخيرة وسقطت
عليها القطرة الاولى من ندى العشق والحياة
عرفتك قبل ان نور في خديك الورد وتلاأت على
شفتيك الابتسامة

وقبل ان غردت في الغابات أطيارك وعطرت الآفاق
رياحينك وأزهارك
عرفتك قبل ان سمعت اذنك هتاف الانهر وعويل
الرياح

عرفتك قبل ان عرفت من الحياة النسق والليل
والصبح
هزرت سريرك بانفاس كانت لهيباً قبل أن صارت
نسيماً

وأصبحت حياة بعد ان كانت سديماً
وكأن ربك بذلك عليماً
هزرت سريرك باليد التي احترقت مرأفاً فاستحالت
مسكاً وبخوراً حول السرير الكمين

باليد التي اكتسبت زغباً تحت رأس أمير الرياحين
باليد التي نور في اناملها الجلنار وفي راحتها النرجس والياسمين

هزرت سريرك قبل ان نما الفؤاد مني آسماً وغاراً تحت
قدميك

وقبل ان فاض ابتسامي نوراً فوق عرشك
وقبل ان هطل غيبي دمعاً حول سريرك

هزرت سرير طفلي الربيع قبل ان سار كلي قسماً من
سريه

هزرت في الاعماق ففاح اريجيه في الآفاق
هزرت في اعلى عليين فغردت بلبله في الرياض والبساتين

عرفتك قبل أن ودعتك السماء وقبل أن عرفتك الغبراء
ولكنني استغربت صراخك يا ابن الربيع ويا ابن السماء

ان في بكائك سرّاً لا تذيعه الازهار
وان في سكوتك لغزاً حفظته النجوم والاقمار

وان لفي نظراتك المبهمة الندية شيئاً من غوامض
البحار

فهل جئتنا من ألم الفراق باكياً أم جئتنا الوحشة
شاكياً

اين منك الروح التي تاتي في العيون مسحراً حلالاً فيذوب
حبةً وجمالاً

اين منك الادراك الذي يلتهب في العالم نجماً فيشع في
الشاعر خيالاً

بل أين من نفسك الآن ما حير البرية في الانسان
أين منك تلك القوة التي أغلت الصاعقة واذلت البحار
واسترقت الرياح والكهرباء والبخار

اتحلم ملائكة السماء بفراش الارض وخفافسها
أو تذكر الفراشة يوم سارت تحت جناحها الشمس

أني خطوط هذه اليد الصغيرة البضة آثار حبك النجوم
واسرارها

أو تحت هذه الاهداب الناعمة تبس من نورها ونارها
أتذكر شفئك الكأس الذي سقتك زنبقة الوادي
أتذكر الغدير الذي كان يغسل قدميك يوم كنت
مضطجعا مع الدفلة تحت ظل الدلب والصفصاف
أي ابن الوادي أن فيك من بهاء الربيع ما فيك من
عجد السماء

أن في هذه الوردة البشرية جذوع الماضي وأريج الحاضر
وبذرة المستقبل

أقبل رجليك لأنني لا أنكر الماضي ولا أنبذه
وأقبل عينيك لأنني أراك شاخصاً إلى العلاء
وأقبل سرتك لرمز فيها بليغ جميل
ففي السرة سلسلة الحياة التي لا تتم حلقاتها أن لم
تقطع

يقطعها الإنسان فيعيد وصلها الله

فاذكر قبلاقي الثلاث ان عدت في مستقبلك البعيد الى
ماضيك هذا القريب
واذكر ايضا ان في كل قبلة حسرة ما زادها العلم الا
اشتعالاً

عرفتك قبل ان وعدتك السماء وما عرفت من سر هذا
الوجود سوى الحاء والباء
عرفتك قبل ان عرفت الربيع وقبل ان هزرت سريره
الخفي

عرفتك قبل ان اسرنا فصرنا بديع قوافٍ لشعر الهي
نظمنا الاله واودعنا سراً من اسرار بيانه الازلي
وقال عليكم بنجم سريع فهو فيكم ومنكم يضي
بهاء الحياة ومجد الحياة اليكم بنوري اليكم يدي
فجبنا نجوم النفوس عراة وفينا الخجول وفينا الخليع
أشدنا هناك بسعد تساوى الملاك العصي به والمطيع

شهدنا هناك ظلاماً تلاه بهاء تلاه ظلام سريع
 وقفنا حيارى وفي الظلمتين ضياء الحياة يضي ويضييع
 شهدنا الدياجي وفيها الاحاجي فهذا الاله وهذا الربيع
 ذهنا فقلنا أرّبي لماذا فقال اسقطوا من مقام رفيع
 وقفنا دهشنا سالنا سقمطنا فجئنا وسر القريض نذع
 فديوان ربك هذا الوجود وفيه السخيف وفيه البديع
 وأنت ابن اخي بيت القصيد وخالك شاعر رب الربيع

٢

عند الحد الزيع

ومثل خيالي أشرقت يوماً وغبت قبيل الصباح فؤاد
 ومثل خيالي انسيتني نعيم الحياة وبؤس العباد
 ومثل خيالي اسكرتني فقلت « اليراع » فقلت
 « الحداد »
 ومثل خيالي حيرتني رحلت وسرك في ذا الجماد
 بهاء جمالك في تربة عجبت لترب جمالاً يعاد

ونور عيونك في ظلمة عجبت لنورٍ شديد السواد
وبلبل نفسك في وحشةٍ — بل بلبل نفسي في تي
البلاد

وحلو ابتسامك تحت الازاهر ألبس روعي شك
القتاد

فراحت الهة حي تهيم وتبكي فؤادي في كل واد

لله انت من وردة سرّية ناطقة فرطها يد القضاء
لله انت من شعاع فهمٍ عجيب زال كالظل في البیداء
لله انت من طير اسفّ فوق بحر الحياة فذاق ملحه
وعاد الى الفضاء

لله انت من طفلٍ سجدت له أطفال السماء
ايه أطفال السماء ! وهذا ريعي أصبح ثلجاً فليت الربيع
بل ليت المعاد

وليت المنجوم تحدث عنه فهذه تجاليد في جهاد

وحلو ابتسامه تحت الازاهر ألبس روعي شوك

القتاد

بنات خيالي انيري حول خيال فؤادي في كل واد

كشفق من اشفاق الايام . كحلم من جميل الاحلام
كوميض برق لاح في الظلام — كذلك كان ابتسام
الحبيب

كنفحة من نفحات الجنان . مرت مع نسيم الفجر في
البستان فرنحت الورد والبيلسان وايقظت الشوك في
القرقفان — كذلك كانت حياة الحبيب

كفراشة مخبئة بين الرياحين . أمسكها عدو كمين .
فدفعها الى جهلة ظالين . سمعت أدواتهم الانين . فبكت
حظ مثل هؤلاء البنين — كذلك كان نصيب الحبيب

ويلاه من طب أجهز على الحب

ويلاه من طب هو الشوك في نبت غمنا . ومن طبيعة
هي أمانا . ومن قبور هي لحننا ودمنا

بهاء جمالك في تربةٍ عجبت لتربٍ جمالاً يعاد
ونور عيورك في ظلمةٍ عجبت لنور شديد السواد

ركضت حولي في الدار فعامتني حب الصغار ، حباً
طاهراً صافياً كله أزهار

وقفت الى جانبي في عزلي فكنت حبيبي وسيدي
ومعلمي

فتحت أمامي ابواباً عجزت عن فتحها يد حكمة الحكماء
وسدتني بما لا تضاهيه شوكة الملوك والامراء ، وهديتني سبيلاً
ضلت في سبيله العلماء

انكرت سلطة المسيطرين ، فجئتني وساطتك من
أعلى عليين

لله من أطفال هي ملوك في قلوب الرجال
لله من ضعفٍ صولجانه فوق صولجان ملوك الزمان
كفرت بحب الاطفال فبعثك الله اليّ رسولاً
وصرت عندما أشاهد طفلاً أحبيه باسمك ساجداً

واقبله واجداً

انما هؤلاء رسل الله في الناس

رسل هم الاطفال — رسل الحب والحنان والواجب

والجمال

رُسل كلماتهم سلام . وسيوفهم ابتسام

لله من رسول انت اخلصت لك الايمان وكنيت لك

أطوع من البنان

ولكنك اليوم حيرتني رحلت وسرك في ذا الجمد

ومثل خيالي اشرقت يوماً وغبت قبيل الصباح فؤاد

اقت في وادينا صيفاً واحداً كنت فيه الصيف والربيع

وكتبت في قلوبنا آيات هي خلاصة البيان والبديع

نظرت الى السماء مساءً فادهشك كوكب هناك

مددت يدك الى القمر كأنه راحة في ذراك

سمعت انغام الموسيقى فطربت لها كأنها بنات بديهاك

وذكاك

عطف على الازهار واحببت الرياحين كأنما صنعتها
يداك

حسدك الحسون على زقزقتك . والحمام على حركاتك
والورد على شذاك

حييت كل عابر طريق باسمًا وفي كل امرئ حييت
اخاك

كدت تشعر بالخطوب قبل حدوثها فادمعك قبل ان
يدمعنا بلاك

كللناك بالورد والغار يا حبيب الرياحين والازهار

وفي ربيع السماء الخالد دموعنا طل في الجلنار

بل زهور في أفلاك تدار

بهاء جمالك في تربة عجبت لتربٍ جمالاً يعاد

ونور عيونك في ظلمة عجبت لنور شديد السواد

من هضاب جللتها السماء الى مدينة خيم فوقها البؤس

والشقاء

حملناك والغم يحملنا الى منبت التمويه والتلميس والادعاء
الى حمى الاطباء

ضربت في موطن الفهم والنور . فكان داؤك ذكاك
دماغ هو النبراس في غشاء هو القرطاس

ويلاه من هذا الشهاب . وهذا الالتهاب
في فترة من الزمان سقيت من مر الحياة مما يغص به
جبابرة الزمان

يوم اسففت وقعت فكنت احجية في داءك كما كنت
أحجية في ذكائك

قال المداوون وقالوا . وضربوا في ميدان الحدس وجالوا
وأنت بعيد عن جهل هو عندهم اليقين

مددوك على لوح التشريح وأنت مسرع الى من لا يحدس
في شؤون العالمين

اشمموك المخدرات وأنت في غنى عن هاته الترهات
كيف لا وقد أشلاك الداء وخدرك الدواء

جاء الجزار واعوانه بادواتهم وعقاقيرهم . واحاطوا بك

ليبعدوك عن ملائكة اسرعوا الى لقاءك
 بضعوا الجلد . كسروا الجمجمة . أجالوا أدواتهم في
 الدماغ — ويلاه من أطباء يخطون بل من جزارين يجربون
 قطبوا الجرح ، لفوا رأسك بأشاش . كفنوا وجهك
 الأصفر باوهمهم ضمخوك بروائح العذاب والموت . وتركوك
 على سريرك . لامك لا ييك خالك . لربك
 كفناك باغشية قلوبنا وكلمناك بالورد والرياحين .
 بكينناك باسم كل ما احببته واحبك في وادي الامين
 بهاء جمالك في تربة عجبت لترب جمالا يعاد
 ونور عيونك في ظلمة عجبت لنور شديد السواد
 وحلوا بتسامك تحت الازهار ألبس روعي شوك القتاد
 فراحت آلهة حيي تهيم وتبكي فؤادي في كل واد

الشرق

انا الشرق

انا حجر الزاوية لاول هيكل من هياكل الله ولاول
عرش من عروش الانسان ، لذلك تراني محني الظهر ، ولكني
قويم الرأي

انا جسر الشمس

من أعماق ظلمات الاكوان الى الافلاك الدائمة الانوار
تصعد كل يوم على كتفي وتكافئني مكافأة جميلة
أجل ان في جيوبني . وفي يدي . وفي نفسي من ذهب
الفجر ما لا نظير له في معادن الارض كلها
تزودني الشمس للترحال . وتزودني البصر أيضاً والجنان ،
وانا على ثباتي في رحلة دائمة ، كالكوكب لا تبصر حركاتها
ان أول القافلة . قافلة نفسي . ليتصل بالجوزاء
وان آخرها - است أدري اليوم أين آخرها
قد يكون واقفاً مستكشفاً في أبواب ليفربول

أونائماً تحت عرائش الياسمين في سمرقند
أوجاداً على ضفاف النيل
أوضائعاً في الجادة البيضاء في نيويورك
ولكنني قنوع رضي ، مطمئن ، لاني وان كنت لا أرى
ساقية القافلة فاني مبصر قادتها
واني لا سمع طنطنة الاجراس عند المساء
وصوت الرسول يجيئني كل صباح مساماً
وفي يده ثوب جديد البسه ليومي
نسج من لا ينسج الا لصاحب الجلال . رب الليل
والنهار

٢

انا الشرق
وقد جئتكم يا فتى الغرب رفيقاً
فكن صبوراً . اذا كنت لا تحسن السكون
اني مثقل احمالاً لا تراها العين التي ترى الا قطان وتشتهي
الثروة والجاه

ولو رأيت عيناك بعض ما انا حامل لخررت ساجداً
ولرحت شاهداً

وفي جيوبى ايضاً وفي يدي أشياء من حقول النفس
ومن جبالها ، وأشياء من اغوار الحياة

اشياء ترضي الله . وترضي الانسان . وأشياء لا ترضي
لا الانسان ولا الله

منها ما أود نبذه لو استطعت ذلك دون ان أضرب بحاري
صاحب الجنود والمدرعات

ومنها ما أود اخفاه لو اني لا استحي من نفسي الباصرة
ومنها ما أود اصلاحه ، لو كان لصناع هذا الزمان ضمير
يشفع باليد الرجفة والبصر الكليل

وهناك أشياء يافتي الغرب ، لك فيها الحبور والسعادة ،
عندي ما يسكن نفسك المضطربة وينعشها . عندي ما يشفي
ما في قلبك من أمراض التمدين . عندي ما يبعث فيك عدلاً
يتجاوز استياءك . وحرمة لما يقدره مواء

عندي ما يقيدك . رجلاً ويداً . لتهدأ وتستريح فترى

الكون اذذاك والعقل منك مطلق والقلب مطمئن ،
وتأمل كذلك أسرار الوجود

٣

أنا الشرق

لي عروس في الليل القديم البهيم لا تفارقني أبداً
ولي أيضاً في كل يوم بكر من الحسان
تحييني ممتطية جواد الفجر
لتخبر البصر مني والجنان
أراها فتهز جوارحي طرباً
وأرى صباي أمامي يهتف للفجر
جلال الفجر الذي يجري في النفس مثل سلسبيل فضي
في الجبال

فتبدو خلاله الاعشاب الخضراء ، وهي تعانق الحجارة
والصخور

فتبعث فيها روحاً يستحيل التجويد عندها نشيد حب
وتشويق ، بل نشيد وطن يستفيق

أنا الشرق

أنا شبح يا فتى الغرب الباسل

شبح في موكب الزمان - في موكب الحياة الدنيا

ولكن للشبح صوتاً بل أصواتاً تسمع شيئاً منها اليوم

وستسمعها ملياً غداً

أصوات متضاربة ، متنافرة ، إلا أنها من قلب واحد

لها صدى في هياكلي كلها ، ولها صدى في كليات بلادك

صوت يضج في الخلوات ويتراجع في الاماكن المقدسة

وصوت يحدو في الصحراء ويملا جبال تقواي مسكوناً

طيباً

وصوت يهمس في أذن أدوائك رغبة جديدة مستطلعا

قصدها ومغزاها

وصوت يتماوج سلاماً على وجه المياه في الانهر المقدسة

وصوت يحن شوقاً في ظلال الحرمين

كما انه يئن ويطن في المنابر الجديدة منابر الوطن

صوت ينشد « نرفانا » لآلهة من ذهب ذي عيون
من زورد جاحظة

ويتغنى بـ « كرما » وبالقضاء، والقدر في أكواخ البؤس
والانتم والشقاء

وصوت يهتف استحسنانا في ملاهي بلادك يا فتى
الغرب وفي مراقصه

كما انه يحدث في قهواتك، حول كأس من الخمر، بأحدث
رأي علمي في الجاذبية وبأحدث رأي سياسي في عصبة الأمم

٥

انا الشرق

أحتمي من العالم بنفسي

أستعيز من العالم بالله

« أم ، أم ! » - الله ! الله !

ساعة ، ثم مسكرة ، ثم آية

اله عينه سوداء ^(١) ، وشيطان عينه حمراء ^(٢) ، وملك

عينه زرقاء ^(٣) ، يلبسون الحياة ويعيدون الي قديم الحياة

يرقصون في ظلال البنيان والنخيل
ويحرقون البخور في هيكل أحلامي
ويهمسون ، وينشدون ، ويصيحون ، طالبين
الاطلاق -

الاطلاق - اطلاق النفس والعقل والروح والجسد

يهمسون : « واه أم ، واه أم ، واه » ويرقصون

يصيحون : « لبيك اللهم لبيك » ويسجدون

ثم في ساحات المدينة يخطبون ، وبالبواق ينفرون

وعلى الثورة يحرضون

« لبيك اللهم لبيك ! »

« واذكروا الرجيم الاحبي وان كان حاملاً انجيلاً »

« ولا تخافوه وان كان حاملاً مدفعا رشاشاً »

« ولا تعاملوه وان كانت بضاعته هبة »

« واه أم ، واه أم ، واه »

« لبيك اللهم لبيك »

ساعة من الابتهاج الروحي حول سرير الوطن يتلوها

استسلام طويل تحت عرش الله
ساعة ، ثم سكرة ، ثم اعجوبة
أبحث عن ذي العين السوداء ، وذي العين الحمراء ، وذي
العين الزرقاء ، فلا أجدهم
بل اسمع ما يشبه أصواتهم في سراب ال « كرما » وفي
فيافي القضاء والقدر

انغاما شجيرة روحية تذيب الشهوات أشواقا ، وتحوك
للنفس أحجية من خيوط الشمس ، وتفرش لها طريق الفرقدين
أزاهر سرمدية. ولكني وا أسفاه! استغرب ذي الانعام اليوم
ولا استحبها. وبالاخص عندما اطالع ، يا فتى الغرب ، صحافة
بلادك الفضاحة ، التي تنبئني بما لطياراتك من الصولة
والاقتدار

وكيف يمكنها أن تنسف اساطيلك البحرية وتبيدها

٦

انا الشرق

عندي فلسفات ، وعندي اديان

فمن يبيعني بها طيارات
أتحسبها سفاهة مني او تظنها تجديفاً
قد يكون ذلك ، قد يكون
انا نفسي أجهل اليوم صوت نفسي
صوت المجالس ، وصوت المنابر ، وصوت الصحافة
أجل ، ان لي ايضاً صحافة فضاحة يا فتى الغرب
ولي منابر قد لا ترضى بها آلهة أجدادي
ولكنها منابر جديدة . حريتها فتاة لا تعرف التمرير
فلا تسمعك ما يسر ان لم تجئها بما تريد
وهناك سر اهمسه في اذنك يا فتى الغرب
ليست الاديان والفلسفات ما تظنها
وليست ما تظن اني اظنها
فلا للحراثة هي . ولا للتجارة . ولا للسياسة . ولا
للتقشف

انما الاديان والفلسفات كمصافي الماء

هي مصافي الحياة . تصفيها في الاقل من بعض
الحشرات والجراثيم

٧

انا الشرق

عندي تذوب الالوان كلها وتمتزج
فتماوج نوراً بعضها في بعض تحت ريشة الزمان
ألوان الغروب ، وألوان الفجر ، وألوان الليل السرية ،
لها كلها أفق واحد عندي ، وبسما واحد

من الاخضر الناضر لذي النبوة التي تزرع الثريا بذورها
الى الاصفر الفاقع لذي السر الذي يخلع العذر والعتذار
الى الاحمر القاني لذي ارادة لا تدعن لبشراً أو جن
الى الازهر الباهر لخيال يسحر الساحرين بياناً
هذا سلم من النفسيات لا تجده عند سواي

وهناك الارجوان لسفاهة تجلس على العرش ، والزعفران

لمجد هوت عروشه

والجلنار يتماوج ظلالة حول عرش الالهواء والشهوات

والرماد المنتثر لما كان في سماء الفكر كوكباً نيراً

والاسود القائم لدمقراطية شابة تحمل عصا التأديب

والابيض الناصع لمصرية تحمل غصناً من النخيل

كلها تمتزج في آفاق نفسي وتذوب في سماء آمالي

وتستحيل خمراً في كأس

أجل ، ان خمر الاجيال الغابرة وخمر الاجيال الحاضرة

التي لم يحسن تصفيتها الزمان لثملأ الكأس التي اشربها

كل يوم

فتعيد اليّ روح النبوة القديم المجيد، وتثير فيّ ألم الذكرى

وتجدد فيّ حب الجهاد

مصر

١

مصر هي أكبر الشقيقات الباسمات للدهر ، وهي
أحدث الشقيقات الناهضات

هي أول من هزت الشمس سريرهن ، وأول من
قبلهن الليل على ضفاف النيل

هي أول من لعب في ذرى الصناعة والفنون، وأول من
رقص والقمر تحت النخيل

هي أول من بنى كنناً للعلم ، وبيتاً للحضارة ، وأول من
شيد للحيوان هيكلًا وللموت قصوراً

هي أول من نطق في قلب العالم كلمة العبادة والابتهاال
هي أول من أضرم في ليل الحياة نار الإيمان

هي أول من نحت تمثالاً جميلاً ورسم ذكراً وأملاً
للانسان

هي أول من كوّن من شتات الغيب عالماً حقائقه
أغرب من خرافاته

هي أول من نصب للحق الانصاب ، وأحرق البخور
للخرافات

هي أول من شيد للخيال معالم تباهي معالم الحق جلالاً
وخلوداً

هي أول من حمل ميزان القسط ، وأول من استرق
العباد

لها الصولجان المرصع ماسماً ، ولها السوط المملطخ دماً
هي أول من قال للموت : لا ، وأول من قال للحياة :

نعم —

لها في الموت حياة ، ولها في الحياة المآثر الخالدات

هي مصر

آية الزمان ، ابنة فرعون

معجزة الدهر ، فتاة النبل

٢

هي في هيكل الحب آلهة تسجد لها آلهة الام
هي في هيكل الجمال ربة لا تخضع لآلهة الزمان
ورد خديها من وادي الصفاء ، وزنبق جبينها من جبال
البر ، وذهب شعرها من معدن الفجر ، وقرمز فمها من بساتين
الخلود

هي في السرايب مشكاة فيها مصباح يضيء ، وهي
في الفضاء نار على علم

٣

هي ابنة رموز أسرارها في فم العاصفة وفي قلب النسيم
لها صوت يهيج حتى النخيل الى الخيال ويبعث حتى
في الرمال شوقاً الى النيل

هي ربة العشق ، وربة الموت ، وربة الخلود
هي مصر

آية الزمان ، ابنة فرعون
معجزة الدهر ، فتاة النيل

٤

هي في قلب العالم سيدة الايوان الجديد — ايوان البر
والحق ، ايوان الحرية والحجى ، لسانها عربي ، وقلبها شرقي ،
وعقلها غربي

لها في ظل الهرم اثر خالد ، ولها في ظل تمثال الحرية
زاوية للحكمة والعدل

هي التي شاركت ايزيس هيكلها ، ورعمسيس عرشه
وهي التي تتغنى اليوم بانغام النور — الذي كلل هذا
الصباح رأس ابني الهول ، لها صوت سمعته قبل الهرم
الصحراء ، ونسمعه اليوم نحن الواقفون في ظلال الاجيال
التي شاهدها هذا الهرم

من ضفاف النيل ، الى ضفاف بردى ، الى شاطئ
الفرات ، الى وادي الكانج ، صوت مصري تماوج كالنسيم ،
ويزجر كالرعد ، ويخترق ظلمات الجمود كالنور

ان كلمة مصر لكلمة العرب ، وان كلمة العرب اليوم
انيرها بالامس ، ولغيرها غداً ، ولكنها أبداً كلمة مصر ،

مصر الخالدة ، مصر الفراعنة ، ومصر الممالك ، ومصر

« الزغاليل »

كلمة علم تنطق بها مصر تنير مصابيح الهدى في الامم

العربية ، الدانية والقاصية

كلمة عطف تفوه بها مصر تنعش قلوب باخدرها ريب الزمان

كلمة حق في وادي النيل يردد صداها في الشام وفي

بغداد ، بل يتراجع صوتها بين طنجه وسمرقند ، في كل بلد

عربي القلب واللسان

آية الزمان ، ابنة فرعون

معجزة الدهر ، فتاة النيل

هـ

حيثني بغصن من النخيل وبزهرة من السوسن

اسمعتني نشيداً سمعه قبلي كاهن ايزيس وأديب الرومان

وشاعر العرب

همست كلمة في اذني ملأت فؤادي من فيضها

القدسي — فيض الذوق والشوق والهيام

فتحت لي باب خدرها فبهرت نوراً. فسكرت حبوراً
ذكرت يوماً كان فيه ابن مصر عبد الملوك وهو اليوم

ميمد تنصت له السلاطين

ضحكت مصر في ليالي الغم، وبكت في فجر الابتهاج
وضحكت لضحكها، وذرفت لدمعها الدموع

ضحكنا سخريّة: وبكىنا سروراً

جالستني مصر، يا فرعون، وهي تذكرك وتقول —

هل كان في من شيدوا الاهرام رجل واحد حر

بسمت لي مصر، يا فرعون، وهي تذكرك وتقول —

هل في مصر اليوم رجل واحد يطيق العبودية. تبارك

ابناؤك يا مصر، وتباركت بناتك الناهضات

ان فيك ينور سر التجديد والخلود

ان سحرك يا مصر ليعث الحياة في سكان اهرامك

ان فضلك يا مصر لينطق حتى أبا الهول

ان روحك يا مصر اسكالندي في الاكام، بل كأشعة

الشمس تكمل الندى

ان جمالك يا مصر لكاحتر في كأس من النور، بل كالنور

يسير على وجه النيل

آية الزمان ، ابنة فرعون

معجزة الدهر ، فتاة النيل

هنا عيال مبع

ولسا لفسا شاح مة الا شلة

ويعا رة لية مة رة الا شلة

العيون

بقلم الأنسة مي

تلك الاحداق القائمة في الوجوه كتمايذ من أحلك

ولجين

تلك المياه الجائلة بين الاشفار والاهداب كبحيرات

تنطقن بالشواطىء وأشجار الحور

العيون، ألا تدهشك العيون؟

العيون الرمادية باحلامها

والعيون الزرقاء بتنوعها

والعيون العسلية بجلاوتها

والعيون البنية بجاذبيتها

والعيون القائمة بما يتناوبها من قوة وعدوية

جميع العيون،

تلك التي تذكرك بصفاء السماء

وتلك التي يركد فيها عمق اليوم

وتلك التي تريك مفاوز الصحراء وسراياها
وتلك التي تعرج بخيالك في ملكوت أثيري كله بهاء
وتلك التي تمر فيها سحائب مبرقة مهضبة
وتلك التي لا يتحول عنها بصرك الا لبحث عن شامة
في الوجنة

العيون الضيقة المستديرة والعيون اللوزية المستطيلة
وتلك الغائرة في محاجرها لشدة ما تتمعن وتتبصر
وتلك الرحيمة اللواحظ البطيئة الحركات
وتلك التي تطفو عليها الأجنان العليا بهدوء كما ترفرف
أسراب الطيور البيضاء على بحيرات الشمال
وتلك الأخرى ذات الالهب الأخضر التي تلوي شعاعها
كعقافة كلاب على القلب فتحتجنه ، وغيرها ، وغيرها ،
وغیرها

العيون التي تشعر
والعيون التي تفكر
والعيون التي تتمتع

والعيون التي تترنم

وتلك التي عسكرت فيها الاحقاد والحفاظ

وتلك التي غزرت في شعابها الاسرار

جميع العيون وجميع أسرار العيون

تلك التي يظل فيها الوحي طلعة خبابة

وتلك التي تكاثفت عليها أغشية الخمول

وتلك التي يتسع سوادها أمام من تحب وينكمش

لدى من تكره

وتلك التي تظل مسائلة « من أنت ؟ » وكلما اجبتها

زادت استفهاماً

وتلك التي تقرر بلحظة « أنت عبدي ! »

وتلك التي تصرخ « بي احتياج الى الالم ، أليس بين

الناس من يتقن تعذيبي ؟ »

وتلك التي تقول « بي حاجة الى الاستبداد فاين ضيقتي ؟ »

وتلك التي تبسم وتتوسل

وتلك التي يشخص فيها انجذاب الصلاة واخطاف المصلي
وتلك التي تظل مستطلعة خفاياك وهي تقول « ألا

تعرفني ؟ »

وتلك التي يتعاقب في مياهاها كل استخبار، وكل انجذاب،
وكل نفي، وكل اثبات

العيون، جميع العيون، ألا تدهشك العيون

وأنت مالون عينيك، وما معناها، وإلى أي نقطة
بين المرئيات أو وراءها ترميان ؟

قم إلى مرآتك !

وانظر إلى طلسميك السحريين هل درستهما قبل اليوم !
تفرس في عمق أعماقهما تتبين الذات العليمة التي ترصد
حركات الأنام وتسائر دورة الافلاك والازمنة

في عمق أعماقهما ترى كل مشهد، وكل وجه، وكل شيء
واذا شئت ان تعرفني، أنا المجهولة، تفرس في حدقتيك
يجدني نظرك في نظرك على رغم منك

فتاة الجبال^(١)

بقلم الأنسة مي

يا فتاة الجبال العذبة ، جمالك هو غناك الوحيد :

أربعة عشر ربيعاً سكبت على جبهتك بهاءها فحسبك
هي ثروة وجاها

هذه الصخور الرمادية ، وتلك الاشجار الشبيهة بستار
أسفر عن نصف وجه السماء ، وذاك الشلال المهمهم في اذن
البحيرة المنصبة ، وذاك الخليج الصغير ، وهذه الطريق الضيقة
المؤدية الى مسكنك ! جميعها تخال مرسومة بخطوط الاحلام
والوانها . وأنا أباركك من أعماق قلبي ، يا فتاة يبعث جمالها في
هذا النور الارضي نوراً سماوياً

ليكن الله عونك حتى اليوم الاخير ! انا لا أعرفك ولا
أعرف ذويك على ان العبرات تجول في عيني . سأذكرك
في صلواتي بخشوع بعد ذهابي لاني لم أر حتى اليوم وجهاً
كوجهك بدت فيه الرقة في حشمة واللفظ في طهر تام

(١) للشاعر ورد زورت من ابتسامات ودموع

تعيشين هنا بعيداً عن البشر كبذرة قذفت بها يد الصدف،
 فلا ترخين أجفانك خجلاً ولا ترتدي ملاحمك احمرار الحياء.
 على جبهتك تتجلى حرية أهل الجبال وصراحتهم، وفي ابتسامتك
 يدسم الجود والحنان، وعطفك يتدفق تدفق خواطرك المنعقدة
 من ذهنك رغم قيود جهلك وعلى قلة متاعك اللفظي. قيود
 تشعرين بها وتجاهدين في التغلب عليها فتجيء اشارتك مفعمة
 نشاطاً ولطفاً معاً. كذلك رأيت مرة اطيئاراً تصفق باجنحتها
 لمساحة العاصفة

كل يد تقطف لك الازهار، ايتها الحسنة، فيا سعد من
 عاش قربك في واد صغير كثيف الشجر كثير الزهر، يلبس
 كملابسك ويرعى الاغنام مثلك! وهناك امنية خير من هذه:
 ولكن —

أنت موجة من البحر الانساني العجيب. ليت لي بعض
 السلطة عليك وليتني من جيرانك لا أتمتع بصوتك واهناً
 بمراك! بل ليتني اخوك الا كبر أو ابوك أو أي واحد
 من اقاربك!

واني لأحمد السماء التي قادتني الى هذا المكان المنفرد
حيث عرفت السرور . سأذهب حاملاً معي الجزء لأن
لذا كرة مميزة كأنها مميزة النظر . فلماذا أكره الابتعاد ؟
وها اني افرح واتألم في آن واحد لفراقك ، يافتاة الجبال
الحلوة ! وسأحفظ ابداً في ذاكرتي هذه المشاهد البهية
حية كما أراها الآن — كوخك الحقيق — والبحيرة —
والخليج — والشلال لا سيما أنت الروح المحيية جسم هذا
الجمال

الحياة الدفينة^(١)

بقلم الأنسة مي

النور يعلو ويغمر حروبنا الكلامية

انظري ، ها ان عيني تراودها الدموع واشعر بكآبة

مبهمة تلفت حولي وتمدد

اجل ، نحن نعلم اننا نستطيع أن نمزح ونعلم ، نعلم اننا

نستطيع ان نبتهج ولكن في مهجتي حرقه لا تطفئها كلماتك

الريقة ، ولا تسكنها منك البسمات

اعطيني يدك واصمتي قليلاً ، ولتستقر على عيني

نظرة عينيك الصافيتين لاقرأ فيهما ، يا محبوبتي ، آيات

روحك !

اواه ! هل يقصر الغرام دون فتح فؤادك واستماع صوته ؟

هل يحظر على المتيمين اظهار ما تكن قلوبهم ؟

كنت أعرف الناس يضمنون بافكارهم لئلا يتلقاها

الآخرون ببرود وجفاء ، كنت اعلم انهم يحبون ويتحركون

مخدوعين خادعين ، متنكرين متسترين ، غرباء عن البشر ،
غرباء عن ذواتهم ! انما القلب بعينه ينبض في كل صدر
بشري

ولكن نحن ، يا محبوبتي ، أيسكت ذلك النهي الوهمي
قلوبنا ؟ واصواتنا ؟- أيجب ان نخرس نحن ايضاً ؟ آه ! ما أسعدنا
اذا حررنا قلوبنا ، ولو لحظة ، وحللنا قيود الشفاه لان السر الذي
اطبقها وختم عليها تقدر في أعماقنا !

القدر الذي سبق فعلم كيف يكون الرجل طفلاً وكيف
يكون زهوياً ، وكيف تتقاذفه المطاعم فيخوض ميادين الشقاق
والنزاع حتى لتكاد تتحوّر شخصيته ، فلا يتمكن من وقاية
النفس الطاهرة من تلاعب الاهواء وان ارغمها على الخضوع
لناموس الكيان

ذلك القدر هو الذي يأمر نهر الحياة في صدرنا استطراد
السير الى الامام

فننسى حركة ذلك النهر الدفين وان لازمناه وهو يجتاز
عرض البحار وكنامثله مسوقين على الدوام

ولكن كم من مرة في ازدحام السبل
وكم من مرة في جلبة المصارعة وضوضاء التقاتل
يتصاعد فينا الشوق فننتبه لحياتنا الدفينة
ويتيقظ لدينا احتياج لصرف نار قوانا التي لا تعرف
السكون

ويضئنا توك الى البحث عن اسرار القلب النابض
بعنف في أعماقنا لنعرف من اين تأتي أفكارنا والى اين تقصد
كثيرهم الذين يحفرون في قلوبهم وينبشون
لكن، واأسفاه! قل من يشغل القلب وقل من يفعمه
ويكفيه!

عاجلنا لجم من شؤون الحياة فإظهرنا في كل فن حذقا ومهارة
على اننا لم نكن كما نحن في ذاتنا القصوى ولم نسر في
سبيلنا الواحدة سويدة، ولم نفصح عن عاطفة من العواطف
المتضاربة في صدرنا
وباطلا حاولت أن تتكلم وتتحرك خلال تلك العواطف
ذاتنا الخفية الصادقة!

فكانت أقوالنا وأفعالنا بليغة وحسنة - ولكن غير صحيحة !
واذ يشغل الالم علينا وطأة الجهاد نسأل صغائر الحياة
قدرتها المدهشة للوصول الى النسيان والسلوان فتبلي طلبنا
اذ نلتجىء اليها

ولكن رغم كل مغالبة وكل قهر تنهض ، الوقت بعد
الوقت ، من أعماق الكيان كما من أرض قصية مجهولة ، تنهض
أصوات متلبسة بأئسة ، وتنتشر اصدااء طائفة سانحة فتملاً أيا منا
كآبة وغماً

انما - وهذا نادر الحدوث - عندما نضم في يدنا يداً
محبوبة ونقرأ بعينين يعذبهما دخان الساعات ولهيبتها ، نقرأ
بجلاء في عيني شخص آخر ، وتداعب سمعنا الذي اصمه
ضجيج العالم نبرات صوت عزيز

اذ ذاك تنبسط الانوار في ارجاء جنائنا وتضرب من جديد
نبضات العاطفة الدفينة وتستقر لواحظنا في محاجرها
وينفتح كتاب القلب فنعني ما نقول ، ونقف على ما نود
معرفة ، ويرقب الواحد منا فيض حياته ويسمع همسها

الشيّق، ويامس حركتها المتتابعة، فيتمتع بالحقول اللامعة، ويتمتع
بالشمس والنسيم. وأخيراً، أخيراً يداوم ذلك الفيض الحار هذو
حبس فيه الخيال المراوغ المدعو بالراحة : نسمة باردة تهب
على وجهه ، وسكون غير مرغوب فيه يهجع في صدره
اذ ذاك تتخيله عارفاً آكاماً أشرقت عليها حياته
وبحراً تسير اليه اعمار الانهار

على الوادي

بقلم توفيق مفرج

أسمعت ترنيمة الوادي - يوم كنت على الوادي ؟
أرأيت خرير الماء واندفاعه ؟
أنظرت الاعشاب والرياحين النابتة على ضفتيه ؟
أرأيت الطيور وقد هجرت مأويها وجاءت تحتسيه
أشعرت بالربيع الجميل ينحني ليلى بشفتيه قلمي
الوادي ؟

أوصلت الى « النبع » الجالس في رأس الجبل يتسم
ويتألم ؟

أتعرفين ان النبع « عاشق قديم » عاصر الاجيال
وكانت له حبيبة ماتت في ليلة من ليالي الشتاء فاصبح فصل
الشتاء كله تذكراً ابدياً يملأ به الطبيعة انيناً ويفيض على
الارض دموعاً ؟

هذا الماء المندفع في حنايا الوادي هو دموع غزيرة



الاديب المفكر توفيق افندي مفرّج

تتصاعد من قلبه - دموع الاخلاص والامانة والمحبة
حتى الموت

أليس في ذلك نعمة محزنة تزيد في نفسك جمال الوادي
وتوجد فيك بهجة الحياة وتجعلك تشعرين بلذة الحب ؟

في قلبي جرح عميق كالوادي
طويل ملتوٍ حفرتة عيناك
يجري به حبك كما يجري الماء في الوادي
ينبوعه ألاحظك - ويسمع خريره انغام شجية تملأ
فضاء روحي

كهوفه باردة مظلمة تنيرها ابتساماتك
تنبت على جوانبه آمال غرامي ورياحين حبي
ينحني ربيع الشباب ليثم بشفتيه اقدامه - حيث يجري
حبك وتعطره رائحة انفاسك

وغداً ينتهي الشتاء وينقضي الربيع

غداً ينشف الوادي ويزول جماله
غداً تذبل الرياحين وتيأس الاعشاب
غداً تهرب الطيور وتتحول حرارة الشمس المنعشة
الى نار محرقة
والمكان الذي كنت تجدن به انسا يصبح سامة وكدرًا

لقد جفَّ « النبع » بعد ان سكب دموعه
لقد ولى الشتاء آخذاً معه الربيع
لقد نشف الوادي وهجره عشاقه
جأوا الى البساتين انقائمة بجانبه

ما خوفي على الوادي يا ربة الوادي
خوفي على قلبي - على وادي الحب الذين تجرين به
خوفي أن تنقطع ألحاظك عنه فينشف - ان يجف
حبك فيذبل

تعالى نعود الى الوادي وتأمل شقاءه - تعالي نرى
كيف انتقل جماله الى ما حوله

أتذكرين يوم كنت على الوادي وكان الوادي جمالاً ؟
أتذكرين كيف كانت البساتين الخضراء بجانبه قفراً
موحشاً - وهذه الاشجار كيف جردتها ريح السموم من
جمالها فنثرت أوراقها على الارض ووقفت تستقبل الشتاء
بأبدان عارية وهي تنظر بغصة وألم الى ماء الوادي ينساب
نحيوط من فضة ؟

ما أحلى التضحية ! أعرفت أين ذهب ماء الوادي ؟
تحوّل عنه وانكسب في بطن الارض ليسقي جذوع
الاشجار واليافاها كي ترسل غذاء الى الاغصان المرتفعة في
الهواء فتضج أزهاراً واثماراً . ألا تبصرين ان جمال الوادي
قد تحول الى بساتين وجنائن ؟ يكأّم الازهار وبراعم الاثمار
هي نقط ماء الوادي

الاجاص والكرم والتين والتفاح - هذا ماء الوادي -
هذا جماله

وانت ياربة الوادي - أتقومين بالتضحية كماء الوادي
حين ينقطع مجرى حبك عن وادي قلبي
أيتحول الى عواطفي ليولد فيّ حباً؟ أيسير الى دماغي
لينشئ بي قوة؟
أينسكب في نفسي لتتحول ايامي العارية كاشجار الشتاء
الى حياة هادئة مملوءة سعادة وحباً - وآلاماً وأحلاماً وراحة
وهناء؟

وعلى الارض السلام

كتبت لعيد ميلاد سنة ١٩٢١

بقلم توفيق مفرج

يوم ميلاد ملك السلام رأيت الملائكة تهبط صامئة نحو
بني البشر، ثم رأيتها ترتفع الى السماء وفي قلوبها غصة اذ
لا تتجاسر أن تهمس في آذان الكون كعادتها في كل عام:
« وعلى الارض السلام »

ذلك لان السلام مات من الارض، ودفن في ظلال
فساد البشر

لقد هرب من وجه المدفع بعد أن سمع باذنيه صليل
السيوف وأنين الضحايا
لقد طرده الناس فعاد الى السماء، اذ لم يجد على الارض
مكاناً يلتجئ اليه

بالامس رأيتك في بيت لحم يا ابن مريم - طفلاً
صغيراً وملكاً عظيماً

رأيتك هارباً الى مصر من وجه السكين التي قطعت
أعناق الاطفال في ذلك الجيل . اما اليوم فالى اين تهرب
والمناجل الدموية تقطع أعناق الرجال - ليس في اليهودية
فقط - بل في العالم الواسع الكبير أيضاً

التجأت الى داخل نفسي فاذا بها نائرة مضطربة
كبركان يلتهب ، والتفت الى العالم فاذا به شعلة من غضب
ونار فوقفت لا أدري الى أين امضي

بالامس مشيت بجانبك على ضفاف بحيرة الجليل

الهادئة . واليوم اقتربت منها فاذا هي بحيرة من دماء
رأيتك وانت تأمر امواج البحر بالسكينة والهدوء
فتطيعك خاضعة صاغرة ، والتفت الى امواج العالم المضطربة
فابصرت قارب خلاصك يتحطم على صخوره وقد ضاع بين
طيات الامواج الثائرة

رأيتك نازلاً من صفد الى كفر ناحوم - ابصرت آثار
قدميك الناعمتين على رمال شاطئ البحيرة . اما آثار تعاليمك

الجميلة السامية فلم أجد لها أثراً في طيات عقول البشر الذين
يدعونك بالمعلم الصالح

رأيتك بالامس تشبع الجموع فصحت من أعماق قلبي :
تعال الآن ايها المعلم واشبع الجموع في اليوم اشد جوعاً
منها بالامس . فلقد تسلط عليها جوع النفس وجوع
الجسد معاً

لقد عشنا خمس سنوات على خمسة ارغفة من الخبز .
وفي ختام ذلك الفصل المفجع رفعنا الفضلات كما رفعتها انت
قبلنا ، واذا بها قفف كثيرة من عظام واشلاء ضحايا الجوع -
عظام أبناء واحفاد الذين رفعت من فضلات طعامهم سبع
قفف ممتلئة

فقدشنا عن تلك الفضلات الكثيرة المشبعة فوجدناها
مذخورة في تعاليمك ، لكننا رأيناها طعاماً قديماً بائناً لا يوافق
معد هذا العصر ولا تلائم طعمته الحلوة أذواقنا المرة القاسية
رأيتك تمد يدك فتشفي الاعمى والابكم والمفلوج ،

فوددت لو تمد اناملك الآن لتشفي البشرية العمياء المفلوجة
المنهوكة الروح

ان الراعي اليوم لا يستطيع التمييز بين الغث والسمين -
لا يمكنه أن يذهب ليفتش عن الخروف الضال فان القطيع
جميعه قد ضل وزاغ

ان ديك بطرس لا يزال يصيح في كل فجر - والبشرية
لا تزال تنكر كل يوم وكل ساعة . واذا جئت اليها من
جديد فانها تصلبك من جديد ايضا

لا أصدق الملائكة لو سمعتها تنشد « وعلى الارض
السلام » لكنني أصدق تعليمك يا معلم حين قلت « ما جئت
التي سلاماً بل سيفاً »

لقد صدقت نبوتك واشتعل السيف بالبشر
انظر من علوك الى قلوب الامهات الحزينات المتشحات
بالسواد الجالسات بجانب موقد النار يوم عيد ميلادك : جميعهن
راحيل تبكي على اولادها . ان في رأس السنة الجديدة

تذكرات مفاجئة مؤلمة دامية لعواطفهن . ما أسلم قلوب
اولئك الامهات ! انهن يعمدن الى عزاء واحد ولكنه عزاء
كاذب يا معلم . فعزأوهن الوحيد ان فلذات أ كبادهن
استشهدت في سبيل انتصار مبدأ - مبدأ السلام والحق .
يا لتعاسة اولئك الامهات اين هو السلام واين هو الحق ؟

يا لهم من فريسيين يا معلم - يباعون الجمل ويتفاضون
عن الابرة

قم يا معلم . فالهيكل البشري الاعظم قد امتلأ بالصيارفة
والدجالين وباعة الاثمار المضرة المنتنة . لقد تعالت روائح
العفونة من جميع انحاء الارض ، والعالم اليوم يحتاج الى سوطك
لطردهم الذين يعبثون بهيكل الحق والسلام

ان العواصف السياسية الهائلة تهب بشدة على العالم .
ولكننا نكاد نتنامى هياجها امام الزوابع الاجتماعية التي تهدد

سلامة الكون وراحة البشر

ان وميض نيران الحروب يامع وراء بنود شروط
الصلح

لقد خرجت جميع الشعوب من الحرب غاضبة ناقمة :
الظافر والمنكسر كلاهما غير راضٍ ، كلاهما ينتظر حين تدق
الساعة نشوب حرب اخرى ، وقلوب البشر واجفة خائفة
لانها تكاد ترى العقرب الكبير يرتعش كأنه يريد ان يتحرك

بالامس قام شيخ جليل اسمه تولستوي فاراد ان يقلدك
يا معلم

هجر بيته وأهله ، وعاف ماله واملاكه ، وطاف يبشر
في الناس ويعلم الجموع

ان تعاليمك المقدسة خفيت على اليهود فصلبوك
اما اوائلك الاقوام فقد خفيت عليهم تعاليم فيلسوفهم
فصلبوا انفسهم على خشبة اسمها الباشيفيكية »

ان العقلاء في كل مكان ينظرون ويتألمون
انهم يسكبون دموعاً كثيرة
ذلك يذكركني بالدمعة التي سكبها ملك المجد
« بكى يسوع » تلك الدمعة التي تحدثت مع الاجيال
كانت الاساس المتين لكل ما بني في النفوس من التسامح
والتساهل والمحبة والايمان والاحترام
نحن لا ننسى دموعك لاجلنا يا معلم
تلك الدموع هي السلسلة الذهبية التي تربط السماء
بالارض
هي البحر الواسع الذي يغسل جميع الذنوب ويظل
طاهراً نقياً
هي أشرف ما امتص الهواء وأقدس ما شرب التراب
انت سفكت الدماء في سبيل الغير ، فلا بدع ان
سكبت الدموع
لكن ما الذي دفعك الى البكاء ذلك الحين ؟ من هو
السعيد الذي بكيت لاجله يا معلم ؟

هل امتلأت روحك الشاملة بالحزن الفكري العميق
على المجموع التاعس الاعمى فنزلت رحمتك من العيون دموعاً؟
ان انتصارك العظيم كان مغلفاً بروح حزنك الفكري
الخالد - ذلك الحزن الفكري الذي يمنح الوجه كمالاً والروح
جمالاً

ليس في ذلك الانتظار الابدي شيء من غلبة يوليوس
قيصر ولا من بطش نيتش الالماني
انه انتصار الهدوء والسكون والسكوت
ان الحزن الفكري الذي تجلى في دموعك كان أعظم
امثلة من الاله الى الانسان - انه رمز لاسمى أمنية تحدثت
مع همس الآلهة الى أبناء التراب

أنت لم تأت لتبني يا معلم ، بل جئت لتهدم
الاساس فاسد متساقط لا يقوم الا بهدم البناء واعادة
بنائه
لقد هدمت وأنت مطرودٌ محترقٌ على الارض، وبنيت

وأنت مهانٌ مرتفع على الصليب
لقد سكبت البشرية كل جريمتها في صدرك الواسع ،
وأنت غفرت لها

فلماذا عاد الشر الى الارض والشقاء الى البشر؟
ان الانسانية اليوم سفينة محطمة تتقاذفها الامواج
وتتلاعب بها الارياح فلا تجد ميناءً أميناً تلقي مرساتها فيه

ورأيتك على صليب من خشب في أهيب مواقفك
يا معلم
وكان الصليب طريقك الى السماء والمجد
واليوم أرى البشرية على الصليب أيضاً - صليب من
ذهب
لكنه طريقها الى الخراب والموت

الى « المثل الاعلى »

بقلم توفيق مفرج

لقد تعبت عيناى من النظر اليك
عيناى ضعيفتان لا تحيطان بكل جمالك ومجداك
اما نفسى فكبيرة جداً تسع كل عظمتك وكلالك
غسلتها بدموعك وطهرتها بانفاسك
طردت منها كل آثام البشر وخطاياهم وشرورهم
جعلتها مسكناً لك يا ذات كل نقاء وطهارة

لقد تعبت روحى من التأمل فيك
أنت صورة خيالية « مثل أعلى » تترا كض افكارى
وراءه ولا تدركه

أنت اجمل شيء فى الدنيا - اجمل من اجمل امرأة
ألا تشعرين بتأثير جمالك على قلبى ؟

حين أبكي تبسمين وما أشد التشابه بين ابتساماتك

ودموعي

أنا أغض عيني فاسكب دموعاً من قلبي ، ثم افتحها
فاجد تلك الدموع قد أصبحت كلاماً على أوراق متناثرة
وانت تنظرين الى تلك الكلمات فتبسمين ، كأنك
لا تشعرين انها عواطف ذائبة ذرفت نفس حزينه

حين التفت الى هذا العالم لا أجد سواك
انسى الجنس البشري عندما أراك
حين انظرك يفتش فؤادي ويتولد شعور غريب في
أعماق نفسي

شعور لا أعرف ما هو ولا يمكنني ان اخفيه
فقلولي لي : أهذا هو الذي يسمونه حباً ؟

لبنان يداعب البحر

شر رشيد بك نخله مدير المعارف في لبنان هذه القصيدة المنشورة
وفيها ما فيها من المغامز السياسية وقد صدرت في لسان الحال بيروت
فكتب مفرج افندي الجواب في المفيد في دمشق وهي مداعبة سياسية
ما عرفتكَ يا ازرق العين الا هائجاً مأجماً ولا بصرتك
الا صاخباً غاضباً .. تجيء متهدداً وتروح متوعداً. تلامسني
باسماً وتتركني واجماً. لا أنت الحبيب الوافي. ولا انت
بالبغيض الجافي. انت كما تسوتك الرياح .. ولكن انا
.. فكما أريد ..

أحببتك يا بحر بقدر ما يريد الحب . وبكلمة عندي . من
القوى تراميت على هواك . تكلمش عني . فانبسط اليك .
تدأمو اواجك . وتعود ادراجك . وانا انا لا تأخذ مني الرياح
ولا تهزني الا عاصير .. انت كما تريدك السافيات
.. وانا كما أريد ..

غازلني ملوك التوراة ، وغنا في شعراء الرب ، تخالسي
« سليمان » وشبب بي « حزقيال » وباسمي افتتح « داود »
تسايجه

ذلت لعزتي الدهور ، وزلت عن معتصمي التقادير ،
ورقدت على يقظتي الامم ، فمن الاشوريين الى السكدان الى
الفرس الى الترك . . تواريخ محجلة تدل على مناوأتي الطامعين
وتدلي على استعلاي بحبك يا بحر

ما اخترعت ما يرفعني الى الهواء قباماً اخترعت
ما يربضي على سطح الماء ، شوقاً اليك وتهياماً بك تركت
ما وراءني يتجاذبني وانا اتجاذب اليك ، ما ائتمنت سواك على
صباياي ولا سقت على غير طريقك شبابي ، اخليت مربضي
من النشاط ونفحتك بفلذ أكبادي ، اقلعت موسني
وريجاني ، ومنهما صنعت أكاليك ، تصاعدت الى العلا الى
العلا ، ولكن لساحلك انحدري يا بحر

لي وجه ولك وجهان ، لك قلبان ولي قلب ، قلب ،
ولكن لك ولي ، جسده كثيرون فما نبض الا باسمك « انت
ظالم يا بحر وانا عاثر الحظوظ ، انت تضارب بي مع المضاربين
وانا احتفظ لك بكنوزي ، ارحمني ارحمني يا بحر

يسألونك لبنان وما قال وما فعل فقل لهم ما عرفت
لا ما تريد وخف وجه ربك يا بحر انا لولاك قوال فعال
وعلى رأسي يد آله اسرائيل واينما شئت أضع نفسي
يا بناتي يا صبايا « صنين » هلم الي هلم ضحك البحر
علي اسندني يا عذاري الارز اسندني .. وكئيدي يا قم
(رأس القضيبي) لاري .. هوذا البحر يضحك .. الامواج
تقهقه .. ولكن .. ولكن أرى بعيداً .. بعيداً بعيداً ..
هناك .. ما وراء الغيمة الجامدة .. الى الجنوب .. الى الشمال ..
أرى من يبكي .. وكئيدي يا قم (رأس القضيبي) اسندني
يا عذاري الارز اسندني

لي عهد على الاجيال يا صياي . انا انحنى ولكن
لا أهوي لا تحقن يا عذارى (قنّوين) لا تحقن انا انحنى
ولكن ..
لا (اهوي)

البحر يداعب لبنان

لقد غضب لبنان فابتسمي له يا بنات البحر
لقد حزن الحبيب فغني له يا دقائق الامواج
على أعصابه تتخدر فينام
وانا اداوم عملي للنهاية

السماء كلمت رأسك بالجمال يا لبنان - فلماذا تنحني
نحوي ؟

انت ابن القوة والنشاط - فلماذا تعتمد علي ؟
انت جبار عنيد ورأسك ينطح السحاب وقد سمعت

مرة لا غطيه بامواجي فانزلتني ارياحك القوية ؟
خشب اركك حصن منيع أقوى من الفولاذ العائم على
صدري

سواعد غزلا نك امتن من اكف حيتاني
انا اسماكي يا كل بعضها بعضاً - وانت عصافيرك تغرد
بهناء وراحة

انا الدر في قلبي ولكن انت عاشق صغير يا لبنان لن
تصل الى ذلك القلب فلا تطمع بي
لا تنخدع لا بتساماتي في الربيع بل اصغ الى صوت
غضبي في الشتاء

أنا اغسل قدميك ليتوارد الدم اليهما فامتصه
انا اجلس عند رجلك لاستقبل مجرى الينابيع المتدفقة
من أعاليك الحاملة بين نقط مائها اثمن المعادن الكريمة
اتريد ان احرس بلا اجرة ؟ اتريد ان اقف بلا جباية ؟

لقد غضب لبنان فابتسمي له يا بنات البحر

لقد حزن الحبيب فغني له يا دقائق الامواج
علّ اعصابه تتخدر فينام
وانا اداوم عملي للنهاية

لا تحقد يا حبيبي - لا تحقد يا لبنان
انا لم أصمد اليك ولكن انت نزلت عليّ
انت تريد مني ان احمي ظهرك وانا لا أجد لك ظهر!
نسمي العليل يخدر أعصابك فتنام ، وزوابعك القوية
تهب بشدة فلا تحرك ، واجي
انا احبك يا لبنان وسأجعلك (دوطة) لفتاتي حين
يتزوجها اميري ..

انظر كيف اتفنن بمدي وجزري معك
انا لم اضحك عليك كما تزعم - انت استسلمت لي وانا
خدمت نفسي لاني احبك لاجل نفسي
اذا كنت تستنكف التضحية فلماذا تدعي الحب ؟

تقول - خرزات ظهرك تتقطع

فاقول : شأن المغرم الوطمان

تقول - الخناجر في صدور ابنائك والدماء تتدفق في

شرايينهم

فاجيبك : اغسل جروحك بابتساماتي

تقول - انا احتضر واتلاشي

فاقول : سأسكب دموعي لاجلك

تقول - غداً اموت لنفسي

فاجيبك - تحي لاجلي

ماذا تريد مني ؟

أإن أحمل على صدري اثقال الحديد والفولاذ وانت

ترين صدرك بالرياحين والسوسن

انت عالٍ يا لبنان فابق حيث انت اما اذا شئت ان

تتعانق فسيكون للاثنان جسداً واحداً

لقد غضب لبنان فابتسمي له يا بنات البحر
لقد حزن الحبيب فغني له يا دقائق الامواج
علّ اعصابه تتخدر فينام
وانا اداوم عملي للنهاية

عيد ميلاد

عام ١٩٢٠

بقلم توفيق مفرج

في مثل هذا اليوم ولد يسوع

وفي مثل هذا اليوم - بعد مرور سنة - نعيد لمولده

مرة أخرى

من هذا العيد نستمد سروراً يدوم معنا الى مجيء العيد

الآخر وهكذا الى ما شاء الله تبقى ولادة يسوع بهجة مستمرة

لا تنقطع ابداً

فما أحلى وما أجمل ان يكون لنا في كل يوم عيد ميلاد

يسوع !

انا أعيد ميلاد يسوع كل يوم أراك

ذكرك الذي لا يفارقني - نجم المجوس يهديني الى الحقيقة

دموعي وعواطفي وحي - ذهباً ولباناً ومرراً اسكبها

عند قدميك

فؤادك مذود بيت لحم حيث اتجدد كل يوم واقرب
الى المولود في المذود

حين تتكلمين اسمع الملائكة تغشد « المجد لله في
الاعالي وعلى الارض السلام وفي الناس المسرة »

حديثك لي - موعظة على الجبل
كلامك العذب - فصل شريف من بشارة القديس
شعاع الطهارة المنسكب من عواطفك - « اردن »
اغتسل به كل يوم وابرأ من جميع ذنوبي

عيناك حين تتحركان - « انا نور العالم »
حنوك وانعطافك - « تعالوا اليّ يا جميع المتعبين »
تساهلك وسكوتك - « اغفر لهم يا ابتي انهم لا يعرفون
ماذا يفعلون »

فانا اعايدك اليوم شاكرآ يسوع الذي اوجدك لي عيداً
اعيد به كل يوم للطفل المولود مرة واحدة في العالم - وللعالم
ولي يولد بك كل لحظة في كل يوم

عواطف ام

بقلم توفيق مفرج

انهض يا بني فالنهار قد انقضى ، والشمس كالبخيل
أخذت تجمع ذهبها المتناثر على الارض
من أين جاءك هذا النوم الهادى العميق ؟ ومن ذا
الذي مسح شفتيك بالمعاني اللذيذة ؟
انت كأس زهرة حياتي الذي يقبله الصباح كل يوم ،
وتتدفق حرارة الشمس في صدره كل دقيقة
انت الطفل الصغير الذي يملأ العالم بأسره . انت لي :
فمن هو ذلك الساجر العظيم الذي وضع خزائن الطبيعة بين
يدي ؟

لقد عرفتك قبل أن تولد وعاشتك منذ بداية الاجيال
والدهور
يوم كنت طفلة صغيرة العب على شاطئ النهر ، يوم

كنت اجبل من الطين تمثلاً ، واخيط من الخرقه ثوباً ،
وأرسم على الاوراق طفلاً - ذلك الحين كنت معي . انت
كنت توحى اليّ افكاري ، وانا كنت أنسج على منوالك
تماثيلي ولعي

يوم كنت منطرحه على فراشي اتمخض بالآلام
والاوجاع أسند رأسي الى سريرى أبكي ، بشروني بمجيئك
وسمعت لأول مرة صوتك

صرخت : أعطوني ولدي
أخذتك بين يدي كتلة من اللحم والدم
يا له من شعور غريب انتشر في طيات فؤادي
كم ارتعشت من الفرح ! وسرعان ما زالت الاوجاع
والآلام

ان نسيماً لطيفاً يتموج بين شفتيك فاعرف ان معناه
كلمة « ماما »

والتفت الى عيذك فاراهما تجولان بين جفون تمني
لو انها شفاه لتلفظ كلمة « ماما »
وأرى ذارعيك الصغيرتين ممدودتين الى الامام ولو
وضعوا العالم بينهما لرفضتاه ، لانهما تريدان « ماما »

ثم أميل الى قلبك ، وهناك مجال الشك والريب .
ابصر في زواياه صورة عميقة بعيدة أخافها وأغار منها
قبلني يا ولدي
قبلني قبل أن تأتي تلك الصورة وتزاحني على قبلاتك
ابتسم لي فابتسأك اليوم لي وحدي لا يشاركني
به غيري

ضمني بين ذراعيك بلهفة فاني حين أضمك أكاد
ارجعك الى أحشائي
أنت كبدي تمشي على الارض يا ولدي !
أترى يعرف الاولاد ما تقاسي الامهات ؟

أنا أغني لك لتنام ، وانت تغني لامتيةظ
حين تنادينني يا كيا أشعر ان فك قيثارة ألحان ، وحين
تحدق في وجهي أخال نظراتك ريشة عود تحرك أوتار قلبي
انا الشاطيء المنبسط عند قدمي حياتك اداعب امواج
مدك وانت صغير ، واخاف امواج جزرك حين تكبر

في طفولتك رائحة طهارة استنشقتها فتنعمشني
ليت ولدي يصير رجلاً ويظل قلبه طفلاً !
ليجمع بين حكمة الرجال وطهارة الاطفال
فامثل هذا نعيم الارض وملكوت السموات

في طفولتي رأيتك في القمر يا بني
مددت يداي اريدك فضحكوا مني
وانا اليوم أرى القمر فيك يا طفلي
فامد يدي فاجد بينهما بدري

لماذا يضحك البحر ، وتغني الامواج ، وتبتسم النجوم؟
هل تعلم البحر انعامه من شفتيك ؟ هل سرقت النجوم
لمعانها من مقلتيك ؟

انا لولاك لا أرى للبحر جمالاً ، ولا للحياة رونقاً وبهاء

لقد هزرت سريرك يميني يوم كنت طفلاً - وهاشمالي
اطرحها بين يديك لتهز بها ما تشاء

وغداً أرميك في سوق العالم الواسع يا طفلي
فاذا ضعت بين أمواج الحياة المضطربة فامك منارة
واقفة على الشاطئ البعيد . ابتساماتها تنير سبيلك الى ميناء
الهدوء والامان

أنت ستعرف الناس بي وستكون صورة مجسمة لي
ستقول لهم من هي أمك عند ذلك يباركون
أو يشتمون

واذا شمت الناس بي - يا ضياع أُملي في ابني - يا ضياع

أُملي في وجودي وحياتي

انا انتزعت الشباب من صدري وغرسته في وجنتيك

يا بني

لقد رشحت النضارة من خدودي ، ومشى الذبول

الى عيني

لقد سكبت روحي في روحك وهذا شبابك يتغذى

من شبابي

كلما زدت انت قوة زدت انا ضعفاً ، وكلما التفت اتمتع

بجمال قوتك شعرت ان بها يكمل ضعفي

ومتى دنى الموت من أمك يا طفلي ، تسير في سبيلها

الى حيث لا ندري

لكن روحها تظل بجانبك تمشي

فاذا عملت عملاً فقل : عن يميني أُمي

الشفق

بقلم الاستاذ محمد السباعي

ايها القصر الذهبي . ما أهيم نفسي الى أعاليك اللامعة
تحوم على شرفاتها . فأبما طريق سلكت من هناك سال بها في
منحدر حريري الى عوالم الذكر القديمة وتلك أحلى من الامل
العذب والاماني الناضجة

ألوانك اللمعة المتمازجة لها نظير في قوس المطر . لكن
ألوان القوس تنشأ عن دموع السحاب . وألوانك عن
دموع الانسانية الباكية . وان ما يتجدد في أشعتك الذائبة
من مسالف المناعم له في الفؤاد لذة فوق لذة . وكذلك
الحلاوة في جوار المرارة احلى . والجمال في جانب الحزن
اجمل . وزهر الخريف اقنن لقرب الشتاء . والحديقة الخضراء
في الشفق المريض تبدو للخيال جنة جزؤها في الارض .
وعند رضوان سائرها

المساء

نضب النهار وسال الليل في مجاريه المظامة . له خير
تسمعه الملائكة ينيم النبات كما ينام الطفل على غناء امه
ايها القلق المحزون . اخرج الى الليل البارد البليل
الظلال . تتنفس عليك الاشجار الهرمة حكمتها الندية .
وترسل الورد العذراء انفاسها الطاهرة . ويرشف العشب
الاخضر الحميم من بطن قدمك وتنسل روح الروض في
روحك فتتركها خضراء معشبة . فاذا امسيت كذلك كنت
جديراً ان تنظر الى المنازل فتقول
أيها المستتر في بيته . كأني بك في ألم ولوعة . اني
أفيض نعمة . فهاك نفحات من سروري أرسلها عليك بين
نفحات الشمال . ونفحات من نعيي ابثها لك في عشب منزلك
أو في ثراه

النوم

تنام الطبيعة في خدر الليل الحريري لا حركة ولا صوت
الا أن تتقلب الكائنات فتسججهم في مسامع الظلام وسوس
حليها السائغة . أيها النوم الا طويتني في سلطانك الساكن
أورفرت على رأسي الحار باجنحتك الباردة . لقد مال الورد
المكدود على ورقه الاخضر . وخفقت للنعاس رؤوس الياسمين
تحت أنفاس النسائم الناعمة . وبات الهواء أخف على جبين
الكون من كف الوالدة على جبين طفلها النابض . ودبت
رحمة الله على أرضه المظلمة الندية . واطلت النجوم من منابرها
العلوية بفصاحة صامته . والله اطلق عباده من سجن الهم
والشقاء . وخلص الحب الابدي من شوائب الكدر

نابوليون في منفاه

بقلم الاستاذ محمد السباعي

« كلمة للشاعر الكبير الورد بيرون عن نابليون في منفاه
مذيلة بنبذة فلسفية في مطامع الملوك والغزاة والفاحين واصحاب
الثورات الفكرية والانقلابات الدينية — وخواطر في موضوع
الوجدانات والعواطف — وهذه الكلمة مختارة من قصة دون جوان »
لقد هوى أعظم الناس — ولا اكذب ان قلت —
واصغرهم — ذلك الذي جمع الضدين ، وضم النقيضين ، فينا
يحاول من الامور أجلاها ، اذا هو يزاول اضأها وأقلها غلو
في جميع شأنه واغراق ! ولو توسطت أيها الجبار لبقى لك
سلطانك أو لملك لم تكن لتناله البتة ولا كنت ارتقيت الى
عرش ولبقيت كأصلك في غمار الناس مغموراً . وفي زوايا
الخمول والغموض مستوراً . فان غلوك في الجرأة وتطرفك
في الطموح هو الذي سما بك ورفعك . وهو أيضاً الذي

هوى بك وخفضك . ومن عجب انك لا تزال حتى الساعة
تحاول استرداد سلطانك فقتبوا اريكة العالم ثم تزلزل أركانه
وترزع بنيانه . وتصفق فوقه باجنحتك الهائلة المخوفة . وتصم
آذانه بزماجرك العاتية العنيفة كأنك في سمائه المكفهرة إله
البرق والرعد

مالك الارض انت واسيرها . وفاتح الدنيا وسجينها .
وأراها لا تزال ترتعد وتنتفض لمجرد ذكرك . وان اسمك
المخوف قد أصبح الآن أبشع ما كان اذ أصبحت لا شيء -
اللهم الا سخرة الصيت الشائع . وهزأة الذكر الذائع .
واضحوة الحظ الذي سجد لك حيناً طوع اشارة بنائك .
وعبد دولة سلطانك . حتى عدت نفسك إلهاً مرهوباً ورباً
مخشياً مهيباً . وكذلك عدك العالم ورأتك دول الارض المبهوتة
الحيرى المقهورة الحسرى

ايها الرجل الذي فوق الانسان أو دونه - أنا تعفر
خدود القياصرة بين قدميك . وترغم معاطس الاكاسرة تحت
نعليك . وتجعل جباه الجبابرة مداساً . غطرسه وبأساً . وآونة

تروح كأصغر جنودك . وأحقر عبيدك . مقهوراً حسيراً مغلوباً
أسيراً . ليت شعري وأنت اللاعب بالدول والممالك . العابت
بالعروش والارائك . تهدم الدول ثم تبنيها . وتنشر الممالك
وتطويها . كيف أعياك ان تقمع اضعف شهواتك . وتقنع
أدنى رغباتك ونزعانك . ليت شعري وأنت النافذ النظرات
الثاقب اللمحات . المستجلي غوامض السرائر . المستشف
كوامن الضمائر . المحدث بما في القلوب . المستطلع ما وراء
الغيوب . كيف حيل بينك وبين النظر في أعماق صدرك .
واكتناه حقيقة أمرك وقدرك . كيف غاب عنك ان الاقدار
مهما أسعدت فإنها الخائنة الغادرة . والاقضية مهما أسعفت
فهي الخاترة الخافرة . وان الحظ . ان نهض أحياناً فلا تؤمن
عثرته . والجديتلاً أزماناً ثم تأفل نجمته .

ولكن يروعي منك ثباتك في اللاأواء . ورسوخ طودك
تحت الزعازع الهوجاء . مظهراً أقصى حكمة الفيلسوف وما
تعلمت فلسفة في مدارس ، ولا تلقنت مذاهبها عن عالم في
فنه نبراس . وسواء نعدّها منك حكمة أو قسوة أو جوداً

أوركوداً أو عزة وكبرياء فانها والله نخله روعاء فيها كيد
الحسود . ورغم انف المبعض اللدود . وهي أشد على الاعداء
من حصد الجاهل ، وأمض للاعداء من حزن الغلاصم . لله
أنت ومواكب الاعداء محتشدة تنظر الى هزيمتك وتريد
ان تشمت بك وتسخر من تضاولك وخشوعك فاذا بك قد
كذبت ظنونها واقدت عيونها بنظراتك القوية الطامحة
المنبعثة عن عيني اجل او عقاب يراق عين الشمس فيهرها
حدة وثقوباً واذبت شحمة اكبادها باستهانتك بالخطب
الجسيم ، واستهزائك بالكرب العظيم
أيها الرجل الجليل ! لقد رأيتك في بلواك . أعظم منك
في نعماك . ولكن سكينه المنفى وهدوء العزلة هو جسيم
الرجل المتوقد الذهن القلق الجنان ، الا ان في النفس لجرة
تتألق ، وعاصفة تشور وتياراً يتدفق ، تأتي أن تنحبس بين
جدران وعائها الضيق . ولكنها تطمع الى ما وراء حد اللائق ،
ودون غاية الملائم الموافق . فمتى اشتعلت هذه النار فقار
بركانها ، واندلع لسانها ، وطمح دفاعها وطار شعاعها أصبحت

ولا وقود لها الا المخاطرات المهيبة ، والمجازفات الرهيبة .
ففي هذه تستطير وتمرح وتتهيج وتفرح ، ثم لا يجيئها الملل
والضجر الا من ناحية الراحة وطريق السكينة ان هي الا
حمت في صميم الفؤاد شؤم على حاملها وعلى كل من صحبه
وتبعه

هذه الحمى هي الاصل في ظهور مجانين العظمة والبطولة
الذين تركوا الأمم والشعوب مجنونة بتأثير عدواهم ! أولئك
هم الغزاة والملوك وأرباب الملل والنحل والمذاهب
والفسطائيون والشعراء والساسة وكل من اليهم من أولي
النفوس الثائرة والقلوب الجياشة ، من اتخذوا العالم لعبة
وأضحوا هم أنفسهم ضحكة العالم ولعبته ، وخذعوا
النوع البشري وسخروا منه وكانوا أثناء ذلك مخدوعيه
وسخرفته ، يحسدن الناس وهم بالراحة أولى ! أي لذعات
ولفحات تحز وتأكل في قلوبهم ، أما وربك لو فتح لك قلب
من هذه القلوب فأبصرت ما به لالفية مدرسة تعلم من
شهد قاعاتها الحزينة كراهة الزعامة والسلطان ، وتعلم من قرأ

صحائفها السوء، إغاض التاج والصولجان

أولئك المجانين العظماء - أنفاسهم القلاقل واضطرابات
وحياتهم زوبعة هوجاء على ظهرها يركبون فيعصفون حيناً
في ميادين العالم، ثم يهبطون فيسكنون ولكن جرثومة
القلق والطامح والشرود والجماح لا تزال بعد كامنة في صميم
افئدتهم تلذع وتلسع حكمة العقرب وناب الأفعوان فإذا
رأيتهم في دار عزلتهم رأيت الليوث الضراغم في أقفاص
الحديد حيرى مولهة تارة تجول من القلق وتصول، ومن
فرط التبرم تهيم وتدمدم وتغتمغ. وتارة تخشع فتستكين.
وتطرق اطراقة الحزين. دأبها ذلك حتى تموت. كالسيف
الحسام ينبذ في زواياها الاهمال فيصدأ ويتأكل ويندوب
فيضمحل

كالنار تأكل بعضها ان لم تجد ما تأكله
من ارتقى الى قمة الجبل وجد أعلى ذراه ملتفة بالسحاب.
ملتفة في الثلج والضباب. ومن ساد الناس وأخضعهم كان
جديراً أن يجد نفسه مبغضاً مكروهاً. فهو وان أشرقت

فوق رأسه شمس المجد والفخار . وانفسحت تحت قدميه
الأرضون والبحار . يظل في وحدة ووحشة لا يحيط به الا
صخور الثلج وجملامد الجليد ولا يحيي أذنيه سوى دوي
العواصف . وضجيج الرعود القواصف . حيث تصدم رأسه
العاري هوج الاعاصير . وتلطم وجهه الحاسر نفحات
الزمهرير . وهذا كل جزائه على بلوغه القمة العليا

ايها المرددون ذكر الغرام والود . والمجدد والسؤدد .
خبروني عن معاني هذه الاسماء ؟ هل هي بروق كاذبة ما ان
تزال حولنا تومض وتخطف . تلمح فوق رؤوسنا وقلماتهبط
علينا فتقف . يارحمنا لنا بني الانسان نرفع أبصارنا الى هذه
البوارق الخلب ونحن بالتراب لاصقون . والى أديم الارض
مغلولون . فتتلا لأ لعيننا المبهورة أنوارها العديدة الالوان
والاشكال . ثم تضمحل بغتة فتزول . وتتركنا لا نعرف ما نقول
لو علم الناس حقائق الامور لبكوا على أني الى الضحك
من هذه الحياة أميل . ولا حرج علي ولا جناح . اني

لاضحك من كل ما في الوجود لاني أعلم ان الوجود بحذايره
ورمته ما هو الا شبح وخيال

انهم ليتهموني - انا ناظم هذه الايات - بأني أميل الى
انقاص الفضيلة الانسانية ، والاستهزاء بالمقدرة البشرية .
يا لله ! وهل قلت في ذلك أكثر مما قاله قبلي داني وديوجانس
وسليمان وسرفانتس وسويفت وما كياقيللي وروشفوكول
وفينيلون ولوثر وأفلطون وتليتسون ووسلي وروسو . الذين
أدركوا ان هذه الحياة لا تساوي فتيلاً ولا قطميراً . فما
ذنبى أو ذنب هؤلاء الفلاسفة اذا كانت الدنيا بهذا الحد من
الخسة والدناءة ! لقد قال سقراط « انما أقصى علمنا أن نعلم
انا لا نعلم ولن نستطيع ان نعلم أدنى شيء في هذا الوجود » .
فيا لها من منزلة رفيعة في العلم تسوي بين الحمار وبين حكماء
الحاضر . والمستقبل والغابر . وكذلك زعم نيوتون (مضرب
الامثال في العلم والذكاء) اذ قال - بالرغم من عجب
مستكشفيه . ونادر مبتدعاته - اني لا أرى نفسي الا
كطفل يلتمظ الصدف والمحار على ساحل البحر العظيم - الحقيقة

قد قال الانبياء ومشايخ الاديان في قديم الازمان أن
 « الحياة كلها غرور » وكذلك قال أحدث الوعاظ وصدقت
 أقوالهم أفعالهم بما أظهروا من احتقار الدنيا وترك شهواتها.
 وهجران لذاتها . وكذلك كل العقلاء والمفكرين يعلمون ذلك
 أو سيعلمونه . أفبعد ما اعترف بفناء الوجود و « لا شيءية »
 الحياة طرائف الانبياء والقديسين والحكماء والقسيسين .
 والشعراء والمنطقيين . أحجم انا عن القول بغرور الحياة خشية
 المعارضين والنقاد ؟

أيها الناس يا زمرة الكلاب - واني لاعطيكم من المدح
 فوق ما تستحقون اذ سويتكم بالكلاب لانها خير منكم واكرم -
 سواء علي أنقرأون أم لا تقرأون ما أقدم لكم من وصف
 حقيقتكم وبيان ماهيتكم وسرد مساويكم وعدة مخازيكم وكما انه
 لا يضير السحاب نبح الكلاب فسيصب عليكم عارضي
 الهتان دوافقه . وينزل فوق رؤوسكم صواعقه مهما علا
 صياحكم . وكما أن الاقمار لا تحفل بعواء الذئاب فكذلك

ملائكة شعري مستشرق في سمائها بالرغم من عوائكم :
فاملأوا الدنيا صراخاً فانكم لن تمنعوا ملائكة القريض أن
تضيء سبلكم المظلمة ، وترضع بسبائك لجينها جوانب
حياتكم المقتمة

النيل

ينساب في همود الصحراء كأنه الامل العريض في وحشة
 الفراق . أو الحلم العذب يتخلل النوم العميق . ينجي الرمال
 الصاغية كأنه عقل عظيم ينجي السريرة . ترفرف على ضفافه
 عهود العصور الغابرة . وتكن في كهوفه أرواح
 ميزوستريس ورمسيس ونيخاؤس وربما ترنمت في هديره
 الرخيم ضحكة كليوباترا . وهبت في نسيمه انفاسها الخالدة
 على ضفافك الهياكل هزلها البلى فصارت هياكلا .
 كأنها الشجر المسلوب أو العظام العارية . خرابات يأكل
 فيها الموت آمال الانسانية ضاحكاً من غرورها . ويكي
 القمر على شقاء الانسان باشعة رطبة أوأوية
 سكون خرب رهيب كأن دنيا كانت تضج بالحياة
 فاقفرت بغمته وعادت تضج بالصمت والعدم . وبعض الصمت
 املاً للاذن من الصياح
 ثم ينتقل السائح من تلك الطلول الذاهلة الى الارياض

والقرى العامرة تسعد وتثري في مهرجانات الفيضان ذلك
الضيف الخفيف الثقيل الحامل هدايا الخصب والبركة في
الصمر والصناديق المائية تزدحم على ظهره كأنها جمالات
صفر . فتندس سرّاً في تربة البلاد حتى اذا جاء الاجل نشرتها
يد الله على موائد الحقول زهراً وفاكهة وبقلاً . قرة للعيون
والاسنان . فكأن وادي النيل معرضاً زراعياً

والسحاب في صفاء الجو يرفل في حلال الضياء كأنه
يؤم معرضاً سماوياً

والنهار يتلأأ كأنه قصر زجاجي . ويهزه الطرب كأن
الشمس تسقيه أشعة من الحجر لا من الضياء . وقد تضاعفت
بهجة الكون في عين اليوم كما يشرق الحب في نظرة صاحبه .
ومرح التيار يطمح ويثب كأنه الافكار الراقصة في ذهن
التمل

والبساتين تختال في الحل المشمسة ، تنتفخ عليها الثمار
الحمر كما تمط الحسان شفاهها من الدلال

يا ليل

لفظة تكاد لفرط الحلاوة تكون نعمة ، تشرق على
الصحيفة كالقمر على سافلة الحساء . وكالنجمة على خد
الليل . لفظة تصبح ريشة العواد أحق بها من ريشة الكاتب .
تنقشها في جوانب السمع بحروف النغم الشجي . والصوت
الغني . لفظة لا يزال بها لسان المغني يعطها ويمدها ويمطف
منها ويلوي ليبطن بها دهايز الاذن وازقتها التي يضل فيها
الحق ويهتدي الباطل

نداء الليل تحتها معاني حمة في طي الابهام لو فصلت لما
وسعتها صحيفة الليل . فيها معاني الترحاب والانس والطرب
والمرح والشكوى واللهف والوجد والجوى والوحشة
والاستغاثة ، فهي سلك العواطف الجامع لفرائدها فكأنها
لفظة « يا رب »

لفظة تمر على اوتار القلب الموسيقية فتخرج من الشفتين
لحنًا زلالاً ينصب في اذن الليل القفرة الموحشة فيوقظ

ما استترت تحت الظلمة من اسراب المني والآمال
 لفظة يحجزها الفم في أشدائه لا يكاد يتركها كأنها
 تفاحة الجنات او تفاحة الوجنات . وكأنها اسم الله في فم
 المسيح او « اسم الفاعل » في فم النحوي . او اسم المايحة
 في فك

والليل أحلى ما تغنى به المرء وترنم ، ولم أرَ اروع من
 جلاله ولا أسكن من هدوئه . فياله من جمال ذائب وحسن
 صامت وسواد منير . يذكرك جواهر الماس في شعور
 الحسان . ولآلىء الندى على أمواج العشب الاخضر . جمال
 في جلال يتركان الليل كالمعشوق الذي قبل فيه
 اهابك اجلالاً وما بك قدرة

عليّ ولكن ملؤ عين حبيبها
 فخبذا الليل . مريح الابدان . وروح الارواح .
 ومزيح الاحزان . ومطوح الاتراح . تشرب النفس من
 حياض هوائه الباردة كثر الروح والراحة . وذلك هواء
 تفجرت فيه عيون الامن الدائم والسلام الابدي

يا ليل علمتني حمل الخطوب والاضطلاع بالدهر .
صاحت الاشجان فوضعت على شفافها اصبعك فصمتت .
وكذلك يرتاح من اشرق عليه من وجهك السماوي مليون
عين المني والامل ! وهي النجوم ينابيع الرجاء والامن
أيها البحر المظلم عديم القرار الذي تتضاءل في أعماقه
العوالم الهائلة كأنها الدول في باع الدهر او العوائق في عزيمة
البطل او الازمات في قدرة الله والسيئات في رحمته . ان في
جزائرك التي تغمرها جزيرة صاغها الله من العذاب الترابي
لا تزال تلد صلصالاً مشتعلاً تلك هي الدنيا وابناؤها التي
تحترق تحت طوفانك كالفسفور تحت الماء . اني على كل حال
واجد في ذلك الطوفان برداً على عظامي الملهية وسلاماً

الورد

مسفر الحسن الناعم والجمال الوهان . يشهد على لينه
وصبا بته النفس الذائب والخيال الأحمر
الورد انس لوحشة الروض ومجامر لحضرتة المبالولة فكأنه
القلوب الحرى في هو الحسان الاخضر وهو القضاء الاسود
والوردة كنز مدور حشوه الرقة والملاحة يميل على
عود نحيف فهي أشبه الاشياء بنظيرتها الوردة الآدمية أعني
المرأة . التي هي أجمل حمل على أخف قدم
الى الوردة الآدمية أهدي الروض وردة ضاحكة ندية .
طالما علق عليها البلبل انفاسه الخلوة في دولة القمر ثم صبها حتى
ترنح الزهر طرباً وخفق الورق غراماً
فكانت الحسناء على تلك الوردة احنى جواحماً من البلبل
واحلى نفساً . بل كان نفسها بسطة في أجل الوردة . ومدة في
حياتها وخيل للوردة وهي تينع تحت ذاك الوجه المقمر . والنفس
العذب انها لم تفارق البلبل الصياح في دولة القمر

ايزابلا

أوقصرية النعناع^(١)

بقلم الاستاذ محمد السباعي

چون كيتس الشاعر الانكليزي الكبير من شعراء الطبقة الاولى عاش في أوائل القرن التاسع عشر وتوفي في ١٨٢١ عن خمس وعشرين سنة وهو في ريعان الشبية وشرح الصبا . ويلقبه نقاد الشعر الاوربي « شاعر الجمال » لانه بينما شغل شعراء هذا العصر الثوري — عصر الثورة الفرنسية واستبداد نابوليون الاول — مسائل الحياة الكبرى : الحرية والاخاء والمساواة : فحيت في تذييل هذه المذاهب الوعة أقلام « برون » و « شيلي » و « ورد زورث » اعرض الشاعر كيتس عن هذه الاغراض العامة واقبل على عناصر الجمال المؤلفة للحياة والكون فأخذ يبدع تصويرها بارع براع . وأحذق كيف صناع . يستخرج كوامنها . وبستير دقاتها . ويقتنص شواردها . ويطرق مواردها

كالمين منهومة بالحسن تنبمه والانف يطلب أقصى منهي الطيب ومن آياته البينات هذه القصة انغرامية المنظومة التي فتت بها

(١) للشاعر الانكليزي الكبير « چون كيتس »

الأكباد . واذاب بها كل مهجة وفؤاد . والتي اقتبسها من قصة نثرية
قديمة للكاتب الطلياني بوكاسيو . فافرغها في أبداع قلب من مبانیه .
وزانها بالدرر اليتيمة من معانيه . فجاءت طرفه الادیب . ونحفه
اللیب : وها هي :

في مدينة فلورنسا من أعمال إيطاليا كان يقطن في
العصور الوسطى أخوان في قصر فاخر منيف . وكان لهما
ضياع وعقار وثروة حمة وتجارة واسعة . وكانا يكفلان اختاً لهما
يتيمة تدعى ايزابلا آية في الجمال . فاستخدما فتى يدعى
لورنزو وكيلاً وكاتباً وأقلاماً معهما في القصر يبعض حجراته ،
وكان رشيق القد حلو الطلعة . فشب الغرام بين هذا الفتى
وبين ايزابلا ولبث مكتوماً في صدر كل منهما أشهراً والحياة
يحول بينهما وبين المجاهرة والمكاشفة

لهفي عليكما أيها العاشقان ! تبيتان على حسرة الجوى
وتصبحان على حرقة الهوى . تجدان في التداني برداً وسلاماً
وفي التباعد غصة وسقاماً . وفي وادي الكرى عناقاً والتزاماً .
وفي دجى الليل مسيلاً للدموع وانسجاماً

كلما بزغت الشمس زاد ذلك الحب شغفاً . وكلما غربت
تضاعف صباية وكلفاً . فشخصها مائل لعينيه اينما كان .
وصوتها في أذنه أحلى من صليل الجدول الرنان . وممر النسيم
على عذبات الاغصان . ومناغاة الاطيار في الاوكار . وهي اذا
عزفت على المزهرة فبإسمه تنطق الاوتار وتردد . واذا طرزت
على المنسج فبإسمه تملأ نسيجها وتفسد

واذا طرقت الباب علم من الطارقة قبل أن يجلوها الباب
على ناضره الظمان . ومن خلال نافذتها تمر فيها عينه من أقصى
مدى بأسرع من لمحة الضقر وأوحى من خواطر الأذهان .
ويسهر الليل البطيء الكثير الاتراح . ارتقاب أن يسمع وقع
أقدامها الوثابة في الصباح

بهذا الكمد والاسى مضت أشهر الربيع فطلعت
نضرة الصيف على نضرة شبابهما ذابلة . وتجلت بهجة
الطبيعة على بهجة جمالهما حائلة . وجعل كل منهما يسر غرامه
الى النجمة الساهرة والنسمة الخاطرة . ويقول لورنزلوسادته
بلسان الدمعة الهامية . والزفرة الحامية « لا طلعت علي شمس

الغداة يا إيزابلا إذا أنا لم أسمع نعمة الغرام من شفقتك
الأمياء ! » « غداً أفوه لايزابلا بجديث لوعي . غداً أفض
خاتم الكتمان عن مكنون وجدي وحسرتي ! »

وما زال ذلك شأنهما حتى ابصر لورنزو وجنة إيزابلا
قد علاها البهار مكان الشقيق^(١) وزال عن عينها لآلاء
الماس وعن شفقتها حمرة العقيق . وعراها هزال الام الصغيرة
الساهرة على رضيعها المريض تسكن آلامه . وتخفف أوجاعه
وأسقامه . فقال لورنزو في نفسه « ما أسوأ حالها . وما
أسرع هزالها . ليس لي ان افاتها على أني خليك ان أفعل
فأبثها قصة صبايتي . اذا كان ما تخفيه الصدور يظهر في اسارير
الوجوه فان صحيفة وجهها لنتم عن اعظم الانباء . وأفدح
الاعباء . فلو اتيح لي ان ارقأ عبرتها . واشرب دمعها ،
لكشفت كربها . ومحوت خطبها »

كذلك اسر لورنزو في نفسه ذات صباح ولبث سائر
يومه قلق الاحشاء خفاق الفؤاد يسأل الله المعونة على القول

والقدرة على الافصاح ولكن لسانه بقي اسيراً في اغلال
الهيبة كما بقي قلبه سجيناً في قبضة الطرب . وكذلك امضى
بالأرق والسهاد ليلته كدأبه وديدنه وفطنت ايزا بلا الى سوء
حاله فقالت له في اليوم التالي ونار الغرام تضطرم في وجنيتها
« لورنزو ! » ثم حبس الحصر لسانها ولكن الفتى قرأ في
لحات لحظها ونبرات افظها مكنون صدرها

فقال « ايزالا ! احسب انه لا بأس علي الآن ان ابشك
حزني وشجني . اذا كنت تؤمنين بشيء في هذا الوجود
فأيقني اني احبك وان شغفي بك قد اشرف بي على الردى .
انا لا اجراً على لمس يدك الطاهرة مخافة ان تتألم من مس
انامي ولا اكاد احدث في عينيك خشية ان تنكر أحاطك
أحاطي تأففاً وضجراً . ولكني لا استطيع البقاء في الدنيا
ساعة اخرى ما لم ابح لك بحبي » . وهكذا تجرأت شفته
فامتزجتا بشفتيهما في حديث صامت معسول . لقد فازا بنعمة
الدهر . ولذة العمر . وشبت بينهما السعادة ناضرة جنية شباب
الزهرة المندية في ريعان الربيع

ثم افترقا الى حين وكأنها لفرط السرور يطآن اديم
الهواء . وكأنهما وردتان توأمتان فرَّق بينهما النسيم ولكن
الى وشك انعطاف . وسرعة انتقام واثلاف . فها هي الا برهة
ثم تلتقي الوردتان فتنفث كل في فؤاد اختها عبيرها الفياح .
واريحها النفاح . وهكذا مضت ايزابلا الى خدرها المصون
فأخذت تشدو بأغاريد الغرام الحلوة والمنى المشرقة . ومضى
لورنزو وثأب القدم الى ربوة مشرفة فاستقبل الغرب والشمس
تجنح للمغيب ثم ودَّع إله النور وخلا الى نفسه في حمرة
الشفق يتأمل وجه سعادته الاغر . ويتنشق ارج نعيمه
العطر . ويرفل في برد امله القشيب . ويمرح في روض انسه
العشيب

فلما اسفر الصباح هرعاً الى مكان خفي في ألفاف
الرياض فتقابلتا في غرة البكور

من قبل ان ترشف شمس الضحى

ريق الغواصي من ثغور الاقاح

وما زال شأنهما ذلك يلتقيان في البكرة والاصيل في

سرادق من الورد والياسمين مستتر من العيون . محتجب عن
الظنون . بعيد عن السن والشاة والرقباء . ألا ليت الحال دامت
كذلك فلم يصبح حديثهما مرتع المنقباب . وملهى السمار
ومتعة الأصحاب

فهل كانا اذ ذاك من الاشقياء ؟ كلا ان قطرة من
النعيم في حياة العشاق ترجح بمرارة بحر آلامه الجياش وترد
ملوحته عذوبة . وكم ينال منا العشاق غير ذلك من نفحات عطف
ورحمة . ومواهب رثاء ورقة . كم نرسل عليهم من الدموع
والزفرات . وكم نقرأ لهم من محزون الاقاصيص مما هو اجدر
ان ترقم آياته بابرير النضار . أجل ان آلام الحب لذينة
ومرارة الحب حلوة

ليس الهوى الا عذاباً يعذب

او ضرباناً في الحشى او ضرب^(١)

ومن ثم نرى طوائف النحل التي هي شحاذة الصدقات
من موائد الرياض عارفة لهذه الحقيقة بصيرة بهذا السر فهي

(١) الضرب هو الشهد

تفطن الى ما يكمن في الازهار السامة من اللذة والحلاوة
 وشاء الله ان علام الحب وامارته بدت في وجه الفتى
 والفتاة لأعين الاخوين صاحبي القصر فافضى كل منهما
 بظنونه الى اخيه فالقى كل منهما الآخر مصدقاً لتلك الظنون
 ومحققاً. واستشاطا غضباً ان يكون اجيرهما وخادمهما لا ختتما
 عاشقاً وبودها وحبها ظافراً فائزاً. وهي التي ارادا أن يزوجاها
 من حسيب نسيب واسع الثروة عريض الجاه. ثم افضى
 بهما التشاور والتآمر الى استدراج لورنزو الى بعض مغامض
 الغابات وذبحه هناك

ففي ذات صباح صبحو منير عمدا اليه وكان متكئاً على سياج
 الحديثمة فقالا « أسمع الله صباحك يا لورنزو. إنا في حاجة
 اليك الساعة. هلم الى جوادك فاسرجه واركب قبل ان تحتدم
 شمس الظهيرة. فقد عزمنا ان نسير الساعة ثلاثة فراسخ في
 ناحية « الابنيين »^(٢) فاسرع يارعاك الله قبل توقد الهاجرة.
 فانحنى الفتى تحية للسيدتين ومضى مسرعاً ليأخذ أهبة السفر

(١) اسم جبل معروف في ايطاليا

وفي اثناء مسيره الى ساحة القصر جعل يتلفت لدى كل خطوة على عينه تظفر بشخص حبيبتة المحبوب او اذنه بصوتها العذب اللذيذ . فانه لكذلك اذ سمع رنين ضحكة حلوة النغمة يهبط عليه من على رفيع بصره فرأى وجهها المليح يطالعه من خلل الاستار تضيء ملامحه ابتسامة الجذل والسرور

فقال « حبيبتي ايزابلا ! كنت أخشى ان أذهب ولا اودعك . ويلى أيتها الحبيبة ماذا يكون من أمري ان فرّق الدهر بيننا اذا كانت غيبة ساعة من الزمن تكاد تقتلني حسرة وغماً ؟ ولكننا سنأخذ من الليل السخيّ الكريم أضغاف ما يأخذ منا النهار المجرم الاثيم . وداعاً أيتها الحبيبة وداعاً الى حين . سأعود بعد بضع ساعات » فردت عليه ايزابلا سلام الوداع ومضى لورنزو وهي تشيعه بلحظها الطماح . وسجّعها المطرب الصداح . وكذلك ركب الاخوان وفريستهما وبرحا بلدة فلورنسا الى حيث نهر الارنوينسجهم مسيله . ويدوي صليله . وتحنو عليه الادواح . وتمسح جبينه

الرياح . ثم نفذ الثلاثة الى جوف الغابة . وهناك ذبحا الفتى
ودفناه . وهناك انقطع تيار حبه الزاخر . وخبا كوكب
غرامه الزاهر

ثم عادا وأخبرا ايزابلا ان لورنزو وأبجر الى بلد قاص في
بعض شؤونهما التجارية وانهما آثراه بهذه الرحلة على غيره
لفرط ثقتهما به وتعويلهما عليه . مسكينة ايزابلا ! البسي
الحداد . والزمي الارق والسهاد . واستشعري اليأس واطرحي
الرجاء . فلن ترين لورنزو ما أظلت الارض السماء

كذلك انطلقت ايزابلا الى حجرتها كاسفة حزينة
وظلت تبكي على الأمل الذابل . والنعيم الزائل . وتراءى
لها شبح لورنزو في الظلام فأقبلت تناجيه وتعتنق الفضاء .
وانطرحت على فراشها تنادي واحر باه ! أين هو ومن لي بان
أراه !

وهكذا بقيت ايزابلا أشهراً تكابد من برحاء الكمد
ما تكابد . فاغفت ذات ليلة فرأت فيما يرى النائم ان لورنزو
ماثل أمامها يبكي وقد شوّه القبر جماله . واطفاً من حسنه

روثقه وصقاله . وسلب من صوته الرخيم مزهراً وعوداً .
 وخذاً في خده الاسيل للدمع اخدوداً . ثم ان شبح لورنزو
 رنا الى الفتاة بعين لهفي موهبة انسانها غرق يتجلى الحب في
 سنا بريقها ويحول بين سحر حلاوتها وبين قلب الفتاة ما كان
 يجيش به من الرعب اذ ذاك . ثم ان الشيخ اخذ يتلو حديث
 مصرعه بصوت حزين خافت تحس في نبراته وحشة القبور .
 واخبرها بما صنع به اخوها في مجاهل الغابة تحت مرادق
 الورق الكثيف وكيف اتقضا عليه فطعناه خلصة وغيلة في
 صمت وسكون وشقاً له لخدأ في الثرى الجعد البليل فدفناه
 وحثوا عليه . ثم قال « واعلمي يا شقيقة الروح ان قبوري
 تنبت عليه الاعشاب وتزخرف حواشيه افانين الزهر
 والريحان وثمر التوت الاحمر وعليه حجر من الصوان وقد
 مدت فوقه يد الطبيعة مرادقاً من السرو والصفصاف وشجر
 « ابي الفرو » ينثر ورقه الاخضر وثمره الشائك . ويغدو اليه
 سرب من الانعام يطوف حوله ويحوم . ألا فاسعي اليه
 يا ايزابلا فاسكبي على ثراه دمة حارة تبل ظمأي وتندي على

كبدى وتضيء ظلمة ضريحي

« ما انا اليوم الا خيال يا ايزابلا ! أنتبذ من الاحياء
مكاناً منعزلاً بعيداً . وأقيم منفرداً على اطراف حاشية الحياة .
واتلو الصلاة على صدى أصوات الانسانية المنحدر اليّ من
متالع سيلها الجياش . وطنين قبائل النحل هو ناقوس جنازتي .
وهديل الحمام من الاصائل والاسحار . وهذه الاصوات
الديوية لا تزال تزداد غرابة في اذني وتباعداً عن طبعي
وذهني كابتعادك الآن عني في عالم الاحياء

« اني اعلم ما كان . وما يكون الآن . ولو ان الارواح
يصيبها الجنون لجننت من غوائل الزمان . ومظالم الانسان .
واني وان كنت قد نسيت طعم لذات الحياة الآدمية لاشعر
الآن بلذة وجودك الهنيء . وان صفرة وجهك الحزين تضيء
ظلمة قبوري الداجية . وتدفع اشلاء رمتي البالية . كأن ، لائكة
الجنان ترف اليّ عروساً من الحور . أجل ان صفرة محياك
تسرني وتفرحني وان روح جمالك تنبت في روحي وتشيع
في فضاء نفسي واني لاحس ديب الغرام ومسرى الصباية في

تواحي كياني ووجداني . وداعاً ايها الحبيب وداعاً ! » ثم
 املس الخيال واختفى . وذعرت ايزابلا فبهت من مرقدتها
 مطلع الفجر وقالت « ويلى ثم ويلى ! ما هكذا ظننت . ان
 في الامر جنائية . لقد سفكت مديّة اخويّ أزكى دم
 واكرمه . ايها الروح الطاهر ! لقد نبهت غفلي . وانرت ظمتي
 سأزورك وألثم عينيك واحييك صباح مساء »

ولما مال ميزان النهار خرجت في خفية وخادمة عجوزاً
 فسارتا حتى بلغتا الغابة وقد سال ذهب الاصيل فوجلجتا الاجمة
 وأخذت ايزابلا تجيل بصرها بين الدوح والاعشاب تلتمس
 علامات القبر كما وصفها خيال لورنزو فلم تك الا برهة حتى
 ابصرت حجر الصوان وثمر التوت الاحمر وشجر السرو
 والصفصاف

فأقبلت ايزابلا على ثرى القبر وشرعت تنبش التراب
 وتحفر حتى ازالَت سقف الضريح ثم نظرت فابصرت في
 قرارته جثة هامدة فخدقت الى ذلك المشهد الاليم ثابتة مكانها
 لا تحرك ساكناً كأنها ريحانة نبتت على ذلك الضريح . ثم

ا كبت على التراب تنبش بمديتها وتحفر وهي في ذلك أشد
 حرصاً وانهما كاً من البخيل في تحصيل ديناره . وما هي الا
 هنيهة حتى عثرت بقفازة ملوثة مرقوم عليها نقوش وزخارف
 من صنع كفها فأهوت عليها تقبلها ثم خبأتها في صدرها
 حيث وقعت موقع الريح المصوحة والزمهرير على تينك
 الثمرتين اللتين جعلتهما الطبيعة منهلين لشفاء الطفولة وشفاء
 غليلها . واسكات عويلها . ثم استأنفت الكد والدؤوب
 لا تفتر ولا تقف الا ريثما تحسر ذوائبها المنشورة عن وجهها
 الحزين

واشفقت عليها العجوز فأقبلت تعينها تحفر الارض
 بذراعين مهزولتين وقد انتشرت صفائرها الشمطاء كالثلج
 في صميم الشتاء . دأبهما ذاك ثلاث ساعات حتى خلاصا الى
 لباب القبر . وبدت لاعينهما الدفينة كأبين ما يكون . فهل
 ترى الفتاة هاجت وماجت . وثارت وفارت . وأرغت وأزبدت .
 وأبرقت وأرعدت ؟ كلا لقد هبطت عليها سكينه الحزن
 الصامت . والوجد الثابت الساكت

وهنا اقتطفت ايزابلا من حديقة الموت تلك الزهرة
الذائبة — رأس حبيبها . وتالله ما كان ذلك الرأس مشوهاً
ولا قبيحاً . ولكنها هامة راقية حلوة وشاقة ملاحية في
ظلال الموت كما كانت في ضياء الحياة

وكذلك حملت ايزابلا رأس حبيبها الى غرفتها حيث
أقبلت عليها تهديء ثائر شعرها بمشط من الذهب . وتبسط
ملتوى أهدابها حول مقبرتي عينيها . وتنضح تراب القبر
بدموعها الغزيرة . وقضت الساعات الطوال تمشط وتنهد .
وتجدد البكاء وتردد

وجاءت بمنديل من الحرير أشبعته بالطيب والغالية
فلقت به الهامة المحبوبة وجعلت قبرها قصرية زهر حيث
دفنتها وغطتها بالتراب ووضعت فوقها بذور نعناع وجعلت
من غدران دمعها ريةا وسقيهاها . ثم عكفت عليها ونسيت في
سبيلها الحياة ومعانيها . والدنيا ومناحيها . ونسيت الارض والسماء
والشمس والقمر والنجوم والروض والنهر والشجر والغدير
والصبا والجنوب فلم تدر متى بزغت الشمس ومتى توارت

بالحجاب. ولكنها أكتبت على نعناعتها الحلوة صباح مساء في
سكينة وهدوء تمطرها دموعها الغزار. وتروحها بأنفاسها
الحرار

وكذلك شبت النعناعة وزكت ملتفة خضراء. ناضرة
حسنة. وفاح لها نسيم طيب اذ كي وأعبق من نفحات
نظائرها وامثالها مما يزين قصور المدينة وخمائلها. ولا بدع
اذ كان غذاؤها لوعة القلب الحزين. ومادة الحياة من ذرات
الرأس الدفين

كذلك برزت من حجابها روح تلك الجوهرة المكنونة.
والذخيرة المدفونة. فبدت للاميان زاهية خضراء ملتفة الورق عبقة
الاريج. ألا قفي برهة على هذا المشهد الاليم يا أسراب الهموم
ويا كتائب الاحزان! فأطرقى اسفاً. وذوي حسرة ولهفاً.
ويا نغمات الموسيقى الرخيم سيلى صباية وكمداً. وذوي لوعة
ووحداً! ويا صدى عالم الارواح ثر من مكانك الخفية
فأرسل زفرات الغناء. وانفاس الصعداء. وياسا كني
القبور ارفعوا الرؤوس وابتسموا استبشاراً فمما قريب تنزل

بينكم ايزابلا . انها لتندوي وتذبل كالغصن الرطيب . قصفه
الزهار للعطر والطيب

وراقب الاخوان إدمانها البكاء لا يحف لها جفن ولا
ترقا لها عبرة . وكم من خبيث من بين قومها متطلع متجسس
أخذ يعجب لذاتها وانكسارها وكيف ظلت تبدد بيد الحزن
كنوز جمالها وتضحى على مذبح الكمد قربان حسنها وانها
الجديرة أن تكون زوجة لاشرف سري وأثرى غني
وأعجب ما أدهش الاخوين عكوفها على قصرية النعناع
كاسفة البال . سيئة الحال . واخضرار تلك الريحانة ورفيف
ورقها والتفافه كأنما يمسه ساحر بعصاه . أو يقوم نقر من الجن
بريه وسقياه . أجل لقد أفرط عجب الاخوين لهذا الأمر
الغريب وتساءلا ماذا عسى ان يكون . وقال أحدهما للآخر
« لا والله ان لهذه القصرية لنباً وشأناً . ولولا أن هذه
الريحانة تنطوي على سرمين لما كان لها كل هذا الاثري
نفس ايزابلا ولا استطاعت ان تصرفها عن شؤون الحياة
كلها . وتنسيها الدنيا بأسرها . وتستلها من محاسن جمالها

وشديقتها . وتبتزها من مباحج متاعها ولذتها . بل تنسيتها
حبيبها وسيرته . وعهد غرامها وذكرته

فأخذا يرصدان غفلة عينها عن ريحانها . ليستجليا
غامض شأنها وقصتها . وأدمننا الرقة ولكن بلا جدوى .
وكيف والفتاة أبداً على الريحانة عاكفة . وغیوث عبرتها
لا تنفك فوقها واكفة . فهي لا تخرج الى متنزه ولا تسير
الى متنسك ولا تسعى الى ملهى أو مقصف . ولا تذهب
الى معهد أو متحف . فاذا قامت الى أمس حاجتها عادت
الى الريحانة بأسرع مما تنقلب الحمامة الى صغارها فتلزم جانب
القصرية لزوم الدجاجة بيضها . ثم لا تزال تبكي على ذخيرتها
المدفونة وتسرق الدمع في فروج شعرها

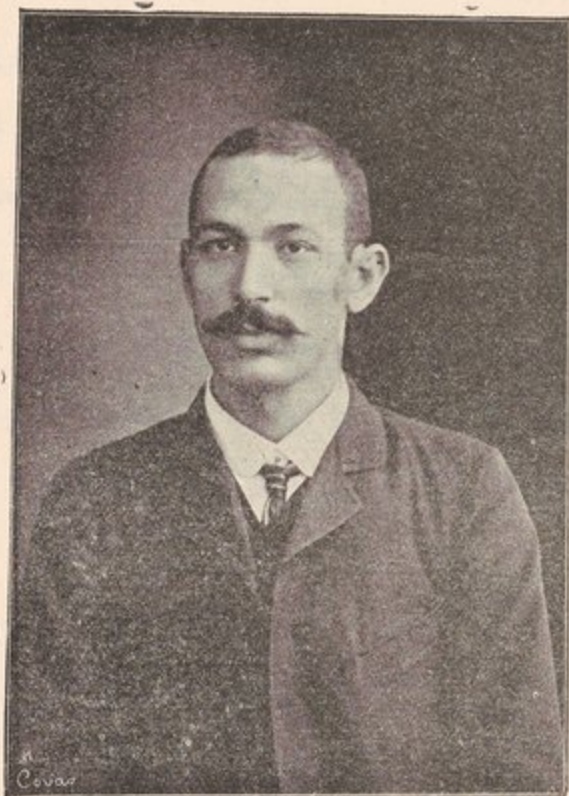
ولكنهما استطاعا مع ذلك كله أن يسرقا القصرية
ويفحصاها في مكان مستور وكذلك بدت لاعينهما الدفينة
الشنعاء كأشبع ما لاح لعين مخلوق وبالرغم من عبث البلى
بتلك النيشة وعيث الفساد وعفاء تلك المعالم وانطماس هاتيك
المعارف أيقنا انها رأس لورنزو

فلما وقع في أيديهما أثر جريمتيهما ونتيجة جنائتيهما غادرا
مدينة فلورنسا في طرفة عين الى حيث لم يعودا آخر الدهر.
أجل فرّ المجرمان الى منفاهما وفي عنقيهما دم الجريمة! اسراب
الهموم وطوائف الاحزان! أذوي وجهك عن هذا المشهد
الاليم! وبانغمات الموسيقى الرخيم اسجعي جزعاً وكمداً.
واهتفي ولوعاً ووجداً. وباصدى عالم الارواح ثر من مكانك
الخفية فارس زفرات العناء. وأنفاس الصعداء. وباملائكة
الحزن والاسى نوحى واندي شجواً على ايزابلا. فقد أصبحت
هامة اليوم او غد. ستموت اوجع ميتة وأكدها اذ سلمها
اخوها آخر ارماق الحياة وفصما آخر عروة كانت تربطها بهذا
الوجود - قصرية النعناع

لقد ظلت الفتاة حيرى مولهة بعد فقدانها الريحانة
تسأل عن نعناعتها المحبوبة وربما أخذت تبكي وفي أوتار
صوتها المبحوح نغمة حزن رخم. وباطالما ساءلت السائح
الجوال عن نعناعتها هل رآها في بعض رحلاته. أو سمع
عنها في غدواته وروحاته. وتصيح قائلة « لماذا أخفوها عني

وخبأوها. واحسرتي ووالهفي ان أبحت على نعناتي فلا
أراها !»

كذلك مرضت الفتاة وضنيت وذابت وهي تسائل
عن نعناتها الى آخر لحظات الحياة . فلم يبق قلب في مدينة
فلورنسا الا تفتت حزناً . ولا مقلة الا سالت عليها رحمة
وشجناً . وذاع بين الناس لحن عن هذه القصة الحزينة رددته
الاسن والشفاه . وما برح للآن يتناقله المحدثون والرواة .
وما هو الا كلمة الفتاة ايزابلا ! اذ تقول « واحسرتي
ووالهفي ان أبحت عن نعناتي فلا أراها ! »



الاستاذ محمد افندي كامل حجاج

مأساة الآلام

قصيدة يخاطب بها قرتر

بقلم الاستاذ محمد كامل حجاج

أجراً مرة أخرى أيها الخيال الذي طالما بكاه الناس ان
تجازف في رابعة النهار بملاقاتي في مروج نضرة مزهرة دون
ان تخشى مني النظرات . هذا كأنا عائدشان في حقل واحد
ينعشنا السحر بندهاء الليل . وفي المساء بعد العناء الذي
نتجشمه طول النهار نفتن بأشعة الشمس الأخيرة حينما تودعنا
عند الغروب

قضى الحظ عليّ بالبقاء وعليك بالرحيل فكنت
السابق - ولم تفقد شيئاً عظيماً
مثل الحياة كخط سعيد . وما أحيلى النهار وما أطول
الليل ! اننا أحللنا وسط ملذات الجنان ولكننا لا نكاد نتمتع
بنور الشمس الشائق حتى نبداً بعراك غامض مبهم تارة مع

أنفسنا وطوراً مع من يحاورنا . لا يكمل أحد بجاره والظلام
يقبل من الخارج حيثما يضيء النور من الداخل ويحجب عني
الضوء الظاهري نظر مضطرب ضربت عليه غشاوة كثيفة .
السعادة هناك - ولكن الناس يجهلون بها . ومن عرفها قريباً !
يفتننا ويتسلط علينا شكل المرأة ويكون الفتى متهللاً
وهذه سنة الشباب فيرتع في الربيع ربيع صباه وفتوته وهو
ذاهل دهش . من اين اتته هذه النشوة ؟ ينظر حوله فيرى
الدنيا طوع بنائه فينطلق في آفاقها ولا تعوقه الاسوار ولا
القصور . يدور حول خليلته كسرب من الطير حلق فوق
قمم الاشجار . يقلب طرفه في كبد الاثير باحثاً عن نظرة
أمينة وفيه ولا يكاد يعثر عليها حتى تغله بسلاسل من حديد
جاءه النذير قبل الاوان ثم عاد اليه بعد فوات الوقت
فشعر ان قواه تفارقه وكأنه ملفوف بشباك قوية لا يملك فيها
حراكاً

العود الى الرؤية احلى واحمد والفراق امر واصعب
وعودة جديدة تقعم القلب فرحاً وسروراً تنصرم السنون

دون ان يشعر بها ثم يظهر كرهاً في وقت ما وفي اختتام
ينتظرك الوداع العظيم الهائل بحبث وختل

تبسم ايها الصديق وانت رقيق العواطف — ثم
تصادفك حطمة هائلة فتعلي شأنك فتشهر طالعك المنكود
ثم تفارقنا ونحن متقلبون في الخير والشر. تجاذبنا الآلام
العديدة من جديد ويعاودنا البؤس والشقاء الى يوم الفراق
وما الفراق الا الموت !

ما اسرع انطلاق لسان الشاعر وما أشد تأثيره عند ما
ينشد ليتجنب هذا الموت الذي يحضره الفراق !
يجد نفسه مغلولاً بمثل هذه المتاعب فان أخذ بذنب
فله العذر ولا اثم عليه وعسى ان يأذن له رب بأن يعبر عما
يقوله ويئن منه ويتوجع

مشاهدة في البحر^(١)

بقلم الاستاذ محمد كامل حجاج

أرأيت هول العاصفة اذ تطير قطع الشراع المعزق كاشرطة
تتلاعب بها الرياح العنيفة . والامطار المعتمة تنهمر بشدة من
ظلمات أبخرة السحب الكثيفة . وحينما يتساقط البرق من
السما كالوابل المدرار ينير عمد الماء السوداء التي تحدثها وتديرها
الزوابع ثم تنحني كأن السماء انقضت عليها وهي التي يخيل انها
تمسك الزرقاء بجرمها العظيم المترامي الاطراف . ثم تنزل الى
قبورها في الهاوية مزعزعة الارض بجابتها الهائلة كأن
القاموس يغيب تحتها . سكنت الامواج والرعود حولها
حتى سمعت اصدااء الرياح وأصبحت السفينة تارة يجرها
التيار الدوار وتعذبها اللجج العنيفة وطوراً تختفي تحت سجوف
السحب المرعدة وحياناً تحتاحها لجة شقها الهواء فتغوص في

حفرة المهلك الذي لبثت جدران واديه السائل معلقة في
الاعماق وهي في سكون مزعيج وفي مأمن من فتكات الانواء
تلمع حول السفينة كأنها مرايا الخراب المعتمة بينا ترجع على
أعقابها الامواج المصطدمة كأنها فراغ رصع بالكواكب أو
لهب قاتل أو نوافير من الحديد يسيل ذوبها فتحف السفينة
السوداء بالبهاء والهول كأنها قطع من الكبريت يقذفها بركان
صافي اللهب فتفور وتقع متحدرة على جوانبه . وأخذت
اهرام الامواج تلمع في سنا البرق المتألق أطرافها المديية
المالحة وتثقب الخضراء وهي على صفحات الدأماء

فكأن السفينة العظيمة تتشقق ! اذ فرقعت كشجرة
قصفت الزلازل أصولها قبل أن يمر عليها الاعصار ويجردها
من أغصانها . حطمت قنابل الرعد المزججة المنهمرة من
السماء سارياتها فلبثت واقفة وهي سوداء مشققة وابتلمت
شقوقها البقايا الصغيرة المتخلفة وقت تهشمها . طفق هيكل
السفينة الثقيل الميت يدور فوق الخضم الحي كأنها جرم عديم
الحياة أو جيفة ممتدة فوق الثرى ظمئة لان تنشر حولها

العفونة والتنن. فاض الماء من قاع السفينة فسحق طرفاً من
ظهرها فتحطم تحطم الثلوج في بحيرات الصحراء حينما تهب
عليها الرياح المذيبة

من الجالسون على الطرف الآخر؟ هل هم الملاحون
وهم ممتدون مكدسون يوارى بعضهم بعضاً كأنهم رموس أو
أموات مرصوفة في حفرة حول السارية الامامية؟ أم النمران
التوايمان اللذان كسرا اغلالهما في قاع السفينة من ألم الهول
حينما تسرب اليها الماء (وما ابت أن هاجهما مقرهما بعد ان
كان يستأنسهما منذ هنيهة) - فهما مضطجعان بجانب بعضهما
منشبان اظفارهما كالكلاليب في الواح السفينة المهتزة - أهذا
كل ما تظنه؟

مرت على هذه السفينة العظيمة تسعة أسابيع وهي
مضطجعة فوق سطح الماء محرومة من نسيم هذا السهل
السائل الذي تصب الشمس فوقه الموت الاحمر دون ان
ترمي أقل ظل في الظهيرة. وكأن القمر يتطاير الاله من

أشعته حينما ينبعث الضباب بلونه الرصاصي من أعماق الهاوية
ويهب بسرعة الوباء الفتاك نزل الموت كما تنزل آفة القمح على
سنابل حقل كثيف فقتك في هذه السفينة الآهلة

يتعاقب الجديدان والملاحون شاخصة أبصارهم من
الذعر وهم رقود كأنهم رم هامدة في أسرهم المعلقة التي أصبحت
لهم نعوشاً يقذفون في هذا المهلك جثث رفاقهم فينطبق عليها
وتمزق كلاب البحر ثياباً لم يكن لهم غيرها من اكفان ثم
تلتهمهم كما كانت بنو اسرائيل تلتهم ما يطرهم الله من المن
في الصحراء

هلك الملاحون الواحد تلو الآخر ولم يبق منهم في
مساء اليوم الذي تجمعت فيه العواصف في محفل سحبها غير
سبعة ثم فتكت الصاعقة بستة منهم فظلوا ممددين سوداً
كالجثث المنحطة التي كتب عليها الزمن آيات ازدرائه
بالمنطيين . واخترمت السابع شظية من الألواح فلبث معلقاً
في الانواء وهو بقية فوق حطام

أهذا كل ما تظنه ؟ وكانت امرأة جالسة بجانب سكان

السفينة (أي الدفة) تنشر شعرها المضفور وهي أجمل وأبهى
من الماء وقما تغيب الشمس فوق البر والبحر تاركة وراءها
شائق الشفق المزدان بأبهى الألوان تضم طفلاً ينجل البدر
جالساً على ركبتيها المضمومتين يضحك لأمه في سنا البرق
ويسخر من الرعد الذي اختلط بالهواء والبحر يشير برغبة
شديدة وتعجب إلى النمرين ليقوما ويقتربا منه إذ أراد أن
يلعب بهذه العيون التي صيرها الهول والفرع أشد لمعاناً من
الظواهر الجوية . ثار فؤاده وقويت دقاته وتوقد ناظره
من نار السرور المتأججة في قلبه وبقيت عيناً أمه كدراوين
فقالت له : « لا تبسم يا بني بل نم نوماً عميقاً مطمئناً
ليبدد ما ينتظرنا من هموم وكروب مهما كانت . وقد
زادت هولاً وفظاعة مذوجب عليك أن تشاطرنيها ؟ نم
وتمتع بلذيد أحلامك ! ألا يستطيع يا بني هذا الصدر الشاحب
الذي هو مهدك وسريرك أن يؤرجحك ؟ انه ليضطرب
من الذعر والهول ! أسفاه ! ليت شعري ما الحياة
وما الموت ومن نحن ؟ هل وجدنا لنهلك بفرق سفينة ؟

كيف لا أراك ولا أستنشق شذاك ! أنرجع بعد الحياة
الى ما كنا عليه قبلها ! فأحرم من مس هاتين اليدين اللطيفتين
ومن رؤية هاتين العينين النجلاوين والشفيتين القائمتين
والشعور العسجدية وكل ما يخفيه ابتسامك وهو موجود
فيك الآن ايها الروح اللطيف انت الذي طالما دعوتك من
يوم لا خربولدي والآن مستغيب عني كما يغيب قوس قزح بينا
أتبع أنا الوابل المنهمر ! »

أنظر الى السفينة وقد وقفت ثم أخذت تنغرس حتى
بلغ الماء نوافذها فوثب النمران حينما شعرا بوصول الماء الملح
اليها أصبغاً فأصبغاً وتشنجت معرفتهما وآذانهما وأطرافهما
وشخصت عيونهما من الهول . دوى صياح طويل أبج
منبعث من أعماق امعائهما بشكل مخوف هائل ورن صدهاء
في انحاء وديان اللجج وطفق يشب متنقلاً كالرعد من الصخور
الى الكهوف مختلطاً بصوت الوابل العنيف بعدما دهوره
الاعصار الشديد

هب الاعصار من الغرب وذهب من باب شمس تحاكي

الشمس الشرقية بحرارتها وشدها قاطعاً تيار العاصفة كشعبان
انطلق انطلاق السهم وراء فيل واندفع خلال عوسج
الصحراء . مر هذا الاعصار وهو اسود حالك كغراب البحر
مزججاً بين المحيط والسماء كأنه قاموس آخر الى ان بلغ
سحب أطراف الدنيا المرتكزة على البحر والمشبكة بجوانب
السماء والتي أحاطت بقبة العاصفة وحماها كاسوار وأعمدة
فشقها شطرين كما يحتاج السيل ما يصادفه من الصخور .
وكانت السحب كاحجار هيكل قبل ان تقوضه الزلازل فلما
انهار أطارت الزوبعة ترابه المهيل وطوحت به في كل فج
عميق تبدد الغيم تبدد الزبد صادفه السيل . فهناك حيث
يهب نسيم الصبح العليل خلال الهاوية والشمس المشرقة
تبعث دون عائق أشعه ناقبة من بلور ونضار كجيوش مصطفة
من نور وهواء تتقابل في باب ثم يتخلل بعضها بعضاً
أخذت تتسع فرجة الزوبعة وطفق ضوء النهار يمزق
تجاويف الغيوم ووقعت الرياح العاتية بعد ما أعيت وكلت
اجنحتها فتأرجحت بحركات البحر وخيره الذي يجلب

النعاس . وأصبحت بقايا الزوبعة طائرة في العلي المجيد الذي
يهول الناظر كأنها ابخرة من ذهب تحترق وتغيب في الشمس
الشارقة . وحينما رأت اللجج المكومة مسكون السماء الزرقاء
تمدت فوق بعضها وانسابت وهي تضطرب بلطف

انتشرت لجج العالم البحري العظيم وأخذت تزخر
وتجري من جبال (الاند) الى جبال الاطلس خفت الاطواد
والجزر وطيور البحر وحطامه وانعكس ابتسام السماء الصافية
في اليم فاقرشته ببساطه اللازوردي

اين السفينة ؟ بينا هي مضطجعة فوق اللجج اذ التحم
نمر مع شعبان بحري واشتد بينهما الجلاد العنيف فكان الزبد
والابخرة المتصاعدة من فهما وقت الهجوم تشوب الهواء
الرائق وتحدث فيه أشبه بقوس قزح . ظل صوت الصدام
والعظام المهشمة التي سحقها الشعبان البحري ذو الجسم البراق
المزري بالمساس بقوته التي لا تنفذ ودوي الدم الحار الذي
يتفجر ثم يسقط كالطر حينما تمزق مخالب النمر أوداج الشعبان
التي تفخها الحنق والعنف والاجهاد والزوبعة الدائرة وهي

أشبه ببعض الآلات الممقوتة التي تحطم ما تلقفه بتروسها
 الفولاذية فيسمع لها صوت كالرعد اذ تبطش باللاجج الرخوة
 والنسمات العليلة وتنثرها قطعاً قطعاً وتزجر النمر وصفير
 الثعبان - تزحف بسرعة فوق سطح القاموس المستوي .
 وبجانب هذه الوغى كلب مائي أزرق كالون البحر معلق فوقه
 بمثابة قبر ذي أجنحة ينتظر الظافر ولما شاهد النمر الآخر حظ
 أخيه المنكود فتح طريقاً لحظه بسرعة تفوق سرعة اليأس
 انظر فهذه سفينة مقبلة بها اثنا عشر مجدفاً تندفع اندفاع
 الفكر مخرت الماء وتركته مزبداً . وفي مؤخرها ثلاثة رجال
 مصوبين بنادقهم الى النمر ثم رموه برصاص ملتهب اخترم
 صدره حينما كان يبحث في الظلمات عن ملجأه وهلاكه . بقيت
 قطعة من السفينة الغارقة على سطح الماء وهي توشك ان
 تغيب في البحر والمرأة قابضة عليها يدسرها بقوة ويمناها
 حاضنة طفلها الجميل . تشاكل الامر بين الموت والذعر
 والحب والجمال فاختلطت في هذا الجو المضطرب المحترق من
 القيظ والهول المحرق بعينها الشاخصتين البراقتين ويدها

الزهراء ووجهها المشرق فاصبحت تلمع كالبرق فوق الماء .
وما فتئ ولدها يدسم ويلهب ويتمم كما كانت تبسم هذه
الهاوية المخادعة قبل العاصفة وطفق الخضم والطفل يتسمان
لبعضها ابتسام الاخ لاختيه بينا

الفردوس الضائع

(حديث ابليس)

بقلم الاستاذ محمد كامل حجاج

أنتِ التي توجت بمجد يحق كل فخر . أنتِ التي
تشاهدن هذا الكون الجديد عن علا مملكتك المنفردة .
أنتِ التي تجبرين الكواكب على أن تستر رؤوسها الصغيرة .
أنتِ التي أدعوك بلهجة ليست بمحبوبة ولا الفظ اسمك
أيها الشمس الا لا نبئك بشدة بغضي لاشعتك المضيئة .
وانك لتذكريني بالمقام الذي سقطت منه واني طالما علوت
على كرتك ظافراً مفتخراً

دهورني الكبر والطمع اذ شهرت في السماء حرباً على
هذا الملك القادر الذي لم يكن له كفواً أحد ! ليت شعري
لمَ ذاك كله ؟ اكان ينتظر مني هذا الانقلاب وهو الذي برأني
وأوجدني في أعلى مقام ازدهيت فيه . ولم يمن عليّ قط بنعمه ؟

ما فرضه عليّ لم يكن بالعسير . فهلا كنت استطيع على
الاقبل ان أحمده ؟ وما أسهل التمجيد والتعظيم ! اذ الشكر
واجب محتم له ! والآ ن ولم تنتج طيبته فيّ الا السوء الذي
لم يلد سوى الخبث

ارتقيت منزلة لا يعلى عليها فجلت من أن يكون لي
سيد وفكرت بانني لو علوت درجة واحدة لاصبحت عديم
النظير ولبرئت من دين عظيم وهو الشكر الدائم ما أثقل ديناً
يتخلص منه دون انقطاع فيستمرّ صاحبه مفلساً وما أتعسه ؟
ولقد نسيت انني أرزق دوماً ولم أفهم ان تلباً مفعماً بالشكر
مديناً او بريئاً من الدين يؤدي دائماً دينه يكون مديناً
وخالصاً في الوقت نفسه . فهل كان هذا حملاً ثقيلاً ؟ لم لم
تخلقني المشيئة من عامة الملائكة ! فكنت أنعم في الهناء ولا
تقف آمالي عند حد ولم يجد الطمع اليّ سبيلاً . لم لم يتطلع
أحد من عظام الشان والسلطان الى العرش الأعلى ولو
وجدوا لقادوني الى حزبهم مهما بلغ مني الضعف . ولكن
هؤلاء الكبار نظائري لم يسقطوا وابشوا مسلحين باطناً

وظاهراً . أأست حر الإرادة قوي الشوكة لتثبت مثلهم غير
مقهور ؟ انك حائز لهذه الصفات : لم تشكو اذن ؟ تهم من
غير الشغف بالمعالي وهو من هبات الخالق وماتهب في جميع
الافئدة ؟

لعنت اذن أي هذا الشغف اذ تساوى عندي الحب
والبغض اللذان جرّاً عليّ الشقاء الدائم . فأولى لك ان تلعن
نفسك اذ تمردت بمحض ارادتك على الله واخترت ما يسبب
لك ندمك الحق ! فما أتعسني ! أي طريق أسلكه لأتوارى
من الغضب الدائم واليأس المستمر ؟ وما من منهج أهرب منه
الا ويوصل الى الجحيم ! وما جهنم الا أنا عيني ! مهاويها سحيقية
ولكن في باطني مهوى أعمق منها فاغر فوهته يهددني دوماً
بافتراسي . ويخيل اليّ ان لظى التي أخشاها أشبه بالسماء
بجانب هاته الحفرة !

ألم يبق مكان للتوبة والرحمة فتخفف من ضرباتك ؟
لا سبيل الى ذلك دون الخضوع ويا لها من كلمة حظرتها عليّ
الكبرياء والخوف من الخزي أمام أعين من تركتهم من

الارواح في أعماق المواطن والذين فتنهم بوعود أخرى دون
 الخضوع وتبجحت باني تسلط على القادر! (عز وجل)
 وأسفاه! ان هؤلاء الارواح لا يعلمون أنني اشتريت
 كبريائي وجرأتي بثمان فادح. فيالعذاب باطن يفترسني
 بينما هم يعبدونني وانا على عرشي الجهنمي! ما عولت بالتاج
 والصولجان الى أعلى عليين الا لأسقط أسفل سافاين. لست
 برئيسهم الا في البؤس والشقاء. وهذا ما يجنيه الطمع من
 المسرات. ولكن حينما تيسر لي التوبة وانال الغفران وأصعد
 بهائي الاول لا يلبث علو الشأن أن يولد الفكر العالية
 فسرعان ما أحنت في يمين الخضوع! وان تخفيف المصائب لما
 يدعو الى جحود نذور صدرت قهراً واقسم بها عند الشدائد.
 وهيئات أن ينشأ الصلاح الصادق هنا في المضغة التي غارت
 فيها جراح الكره المميت وبقدر هذه الخيانة العظمى هويت
 الى غور أفطع منها

ولو كنت اشتريت هدنة قصيرة بازدياد العذاب
 لأصبحت مغبوناً. ويعلم ذلك من يعذبني وهو بعيد عن

أَنْ يَمْنَحَنِي السَّلَامَ كَبَعْدِي عَنْ سَوْأَلِهِ . قَدْ خَابَ كُلُّ أَمَلٍ !
وَقَدْ خَلَقَ اللَّهُ الْإِنْسَانَ وَمَسْرَاتِهِ الْجَدِيدَةَ وَأَعْطَاهُ هَذِهِ الدُّنْيَا
بَدَلًا عَنْ نَحْنِ الْمُنْفِيِّينَ الْمَطْرُودِينَ

قَدْ تَمَّ مَا تَمَّ فَوَدَاعًا أَيُّهَا الْأَمَلُ وَوَدَاعًا لِلْخَوْفِ وَتَعْزِيرَ
الضَّمِيرِ . وَحَيْثُ ضَاعَتْ مِنِّي كُلُّ النِّعَمِ وَالطَّيِّبَاتِ فَكُنْ نَعِيمِي
أَيُّهَا السُّوءُ إِذْ بَكَ عَلَى الْإِقْلِ ابْسُطْ يَدِي عَلَى الْمَلِكِ الْمُقْسَمِ بَيْنِي
وَبَيْنَ مَلِكِ السَّمَوَاتِ وَرَبِّمَا اسْتَطَعْتَ بَكَ أَنْ أَحْكُمَ عَلَى أَكْثَرِ
مَنْ نَصَفَ الْعَالَمَ وَسَيَعْلَمُ ذَلِكَ قَرِيبًا إِنْسَانٌ هَذِهِ الدُّنْيَا الْجَدِيدَةَ

﴿ نَبْذَةُ مِنَ النِّشِيدِ الْخَامِسِ ﴾

(حَدِيثُ آدَمَ)

يَصْعَبُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَنْ يَعْرِفَ كَيْفَ ابْتَدَأَتْ حَيَاتُهُ إِذْ
مَنْ يَعْلَمُ مَنْشَأَهُ حَقَّ الْعِلْمِ ؟ وَلَكِنْ رَغْبَتِي فِي اطَّالَةِ الْحَدِيثِ
مَعَكُمْ تَحْرِضُنِي عَلَى الْكَلَامِ

كَأَنِّي وَقَدْ اسْتَيْقِظْتُ مِنْ سَبَاتٍ عَظِيمٍ فَوَجَدْتَنِي مَمْتَدًّا
بِكَسَلٍ عَلَى الْكَلَاءِ الْمَزْهَرِ مَغْطًى بِبَلَلٍ شَدِيدٍ وَمَا لَبِثْتُ أَنْ
جَفَّ جَسْمِي مِنْ أَشْعَةِ الشَّمْسِ فَوَجَّهْتُ نَظْرِي شَطْرَ السَّمَاءِ

دهشاً ومكثت هنيهة مسرحاً الطرف وقد أخذني الدهول
 في متسع القبة (اللازوردية) فوقفت فجأة بدفع الهامي
 وطفرت بجميع عزمي لأصل إليها فرأيتني واقفاً على قدمي .
 رأيت حولي آكاماً وحراجاً معتمة وودياناً ومروجاً تتلألاً
 في أشعة الغزالة وغدراناً تخر . وهذه المواطن تعيش وتسرح
 مخلوقات فمنها ما يمشي ومنها ما يطير . وطيور تغرد على الافنان
 والكل باش باسم . فسبح قلبي في الفرح والارج

طفقت انظر الى بدني واختبره عضواً عضواً فتارة
 أمشي وطوراً أعود بمفاصل لدنة حسماً ينعشني ويقتادني عزم
 الحياة ونشاطها . فمن أنا؟ واين انا؟ ولم وجدت؟ هذا ما أجعله
 حاولت التكلم فتكلمت فجأة وطاوعني لساني وانشأ يسمي
 بسهولة كل شيء . انظره . ثم صحت قائلاً : « أيتها الشمس
 والارض المنيرة الرطبة الضاحكة والجبال والوديان والانهار
 والادغال والمروج أنت التي أرى فيك الحركة والحياة . خبريني
 أيتها المخلوقات الجميلة ان كنت تعلمين كيف نشأت؟ وكيف

وجدت هنا؟ انني لم أوجد من نفسي ولا بد من خالق ذرأني
عظيم الطيبة جليل القدرة . أنبئني كيف اعرف واعبد من
من علي بالحركة والحياة وهذه الهناء العميمة التي أشعر بها
أكثر مما أعرفها؟

وبينا أتكلم اذ ضلّ فكري فلم أدري اين ذهبت بعيداً
عن المكان الذي استنشقت فيه الهواء وابصرت هذا الضياء
المدهش فلم يجبني أحد . جلست مفكراً على مرتفع جلسته
الخضرة ورصعته الازهار وخيمت عليه الافياء . فهناك للمرة
الاولى تغلب عليّ النعاس اللطيف بوطأته الحلوة فخدر حواسي
دون أن يحدث لها اضطراباً وخيل اليّ اني عدت الى فقد
الاحساس الذي خرجت منه وغبت في الحال

ما لبث أن جال في رأسي حلم بمظهر شائق أقنع بلطف
مني التصور بان يعتقد بانني ما زلت حياً وكأني وقد شاهدت
طلعة علوية تقول لي : « مقامك بطلبك يا آدم فانهمض يا أول
رجل قدر عليه ان يكون اباً لاناس عديدين . دعوتني فاقبلت
اليك لارشذك الى روض المسرات الذي اعدّ لك داراً » وما

اتم حديثه الا اخذ بيدي وطيرني بلين فوق الخلوات والمياه
وصرت انحدر في الهواء دون سير الى أن اهبطني على جبل
ظليل استوت ذروته وكوئت سهلاً أهدقت به أشجار نخمة
شائقة وبه خمائل جميلة ومتنزهات أريجة . قارنت بين هذا
المكان وبين ما رأيته فيما سلف على الارض فكاد يظهر لي
محبوباً وكل شجرة مثقلة بشرها العجيب مما لفت نظري
وايقظ مني الرغبة في اقتطافه واكاه

صحت فوجدت ما صورته لي الحلم باجمل منظر حقيقياً
أمام عيني . ولولا الحضرة الربانية التي كانت لي دليلاً ومرشداً
في هذا الطود لاستأنفت سيري المجهول !

كنت متهملاً فرحاً فوقفت باحترام يخالطه الخوف تحت
قدميه مؤدياً فروض العبودية فانهضني قائلاً لي بلطف : « انا
الذي تبحث عنه وموجد جميع ما رأيته فوقك وتحتك وحولك
أعطيك هذا الفردوس : واعلم انه لك لتزرعه وتحفظه وتأكل
ثمره . أبحت لك أن تأكل من أي شجرة تنبت في هذه
الجنة كما تهوى دون أن تخشى الجذب . وان الشجرة التي

تمكن من معرفة الخير والشر وهي على مقربة من شجرة الحياة وسط الجنة هي الدليل على طاعتك وامانتك (فاذا كر دوماً تحذيري ولا تنسه) واياك وان تمسها واجتنب عاقبتها المرة واعلم انك يوم تذوقها وتفعل ما نهيتك عنه تموت وتعد من الميتين من ذاك اليوم وتجرد من سعادتك وتطرد الى عالم الشقاء والبؤس »

وهذا التحريم الصادر بلهجة قاسية كانت له رنة رهيبة في أذني ولو كنت حراً قادراً على أن أخالفه . ثم عاودته بشاشة واستتبع حديثه المحبوب « لم أخصك بهذه الحظيرة وحدها بل جميع الارض لك ولنفسك فامتلكوها مع عامة ما ينفع الحياة على الارض والبحر والهواء والحيوانات والاسماك والطيور . وانكون على يقين من الامر ساعرض امامك جميع المخلوقات بأنواعها لتتلقن منك اسماءها وتقدم لك واجب التمجيد بخضوع تام . وكذلك الاسماك وان كانت غير حاضرة لعدم استطاعتها ان تبارح مأواها الرطب أو تستبدل غذاءها بهواء رقيق جداً يمنعها من التنفس » ويدنا هو يتكلم اذ اجتمعت الحيوانات

أزواجاً أزواجاً راكعات بمسكنة تشوبها الملاطفة واقتربت
مني الطيور منحنية ترفرف رفرقة جميلة فكنت أسميها وهي
مارة واميز أنواعها فما أعظم الفطنة الثاقبة التي رزقنيها الخالق
لم أجد بين هاتيك الخلائق ما يخيّل إليّ أنه ينقصني
فاجترأت وخاطبت الحضرة القدسية « ما اسمك يا من علوت
جميع المخلوقات والانسان ومن يفضلّه ومن تملك على جميع
ما استطعت تسميته . كيف أعبدك يا موجد العالم وما يحرزّه
فيه الانسان ؟ لقد جدت بجميع هذه الاشياء التي يفوتها
الحصر تماماً لسعادته . ولكني لا أرى مخلوقاً آخر يشاطرنى
هذه الهناءة ! أفى الوحدة سعادة ؟ ومن ينعم وحده ؟ »
وبينا أتكلم والشكوك تخالجنى اذ زاد التبسم أنوار الطلعة
الربانية فاجابتنى :

« كيف تذكر وحدتك ؟ أليست الارض معمورة
بمختلف الخلائق الحية ؟ أليس الجو مفعماً منها ؟ أما هي جمعاء
خاضعة طائعة لا مرك وتأتيك ان أردت سراعاً لتسرح وتلعب

أمامك؟ ألا تعرف لغتها وطباعها؟ إن لها من الذكاء والعقل
مالا يحتقر . فاستخدمها لما يلهيك وتحكم فيها فمملكتك
واسعة الأرجاء « هذا ما نطق به آله العالمين ويظهر لي أنها
أوامر قدسية

الغواص

بقلم الاستاذ محمد كامل حجاج

من منكم أيها الفرسان والفتيان النبلاء يقدم على
الاندفاع في هذه الهاوية ؟ لقد رميت قدحاً من نضار فابتلعت
الحفرة المهلكة فمن آنس في نفسه قدرة على أخذه فليحفظه
لنفسه منحة مني

فما أتم الملك كلامه حتى رمى من ذروة الصخور المنحدرة
المشرفة على اللجج الهائلة قدحاً من عسجد في مياه (كريد)
وكرر نداءه :

« من منكم يعهد في نفسه الاقدام على غوص هذه
الاعماق ؟ »

عمَّ السكوت وخيم السكون وما من مجيب وما هي
الاهنية حتى هب بغتة شاب سري جمع بين اللطف والجرأة
فتقدم وحلَّ منطقته وتجرد من عباة فدهش كل من
راه من رجال ونساء وأعجبوا به أيما اعجاب . وينا هو على

حافة الصخرة يتأمل في هذا المهوى اذ اندفعت اللجج من
أغوارها مزجرة كالرعد

صفر هذا الضاري ثم أزيد وغلى كماء المراحل عذبه
النار وارتفعت نوافير الماء والبخار الى عنان السماء وتبعث
اللجة اللجة . فكان قوة هذا المهلك تتجدد ولا تنفد أو
كأن المحيط يتمخض ليلداً يوماً آخر

ثم سكن هذا التيار الدوار ولمح الناس وسط الزبد
الابيض فوهة سوداء لا قرار لها فاغرة فيها كالبحيم لا تلبث
أن تزدرد ما يهوي فيها من الموج المضطرب
وفي هذه الآونة اعتمد الشاب على الله وطالب منه الرعاية..

ثم سمع على حين غفلة صياح الفزع والرعب اذ ابتلعت اللجة
هذا الغواص المقدام وانطبق عليه فم الوحش الكاسر
صمت كل شيء على وجه الماء ولكن الانواء ما فتئت
تدوي في ظلمات الحفرة وطفق كل ناظر يقول : « الوداع
الوداع أيها العزيز » وما برح هزيم الهاوية يهبط شيئاً فشيئاً
حتى هلعت القلوب وحارت العقول

ثم صاح أحد المشاهدين : « لئن رميت تاجك في
هذا الغور الهائل قائلاً : « الملك لمن يرده ، ماسولت لي نفسي
أن اتطلع اليه اذ لم تستطع نفس حية أن تقول ما شاهدته
في هذه الحنادس والمهاوي

» كم من فلك اختطفت هذه الاغوار ولم ترد منها الا
حطاماً وساريات مهشمة ودفن باقيها في بطون الرموس »
ثم علت زجرة اللجج بغتة واقتربت أصواتها
زأر الكاسر الرهيب وهاج وأرغى وأز بدو علت لججه
كالاطواد وأنشأت تنقض على الشاطئ فيسمع لصدماتها
هزيم كالرعود

ثم شوهدت طي الموج المظلم الغنيف ذراع وعنق
وضاح كالجليد : وما هو الا الشاب السري يسبح بقوة
عظيمة وعاد متهللاً حاملاً القدح بيده اليسرى
استنشق الهواء طويلاً ثم حي نور السماء فصاح الناس
مستبشرين فرحين : ها هو حي ! ولم يستطع قبر اللجج أن
يحجزه واقتحم الغواص الجريء الخطر وظهر عليه »

اقرب الفتى فالتف حوله الراؤون ثم ركع تحت قدمي
الملك وقدم له الكأس الذهبية . فأشار الملك الى ابنته العزيزة
بأن تملأها من رحيق فاخر فصاح الغواص :

« أمد الله في عمرك ايها الملك ! ان السعداء من
يستنشقون هذا الهواء النقي ! وهاته الهاوية ترتاع منها
القلوب الشداد . فلا ينبغي للانسان ان يبلو الأرباب ويتطلع
الى معرفة ما عندهم من الرحمة والحنان وما اختفى تحت أستار
الظلام

« هويت الى هناك بأسرع من البرق فقذفتني لجة
عاتية الى صخرة ثم حملتني أخرى لا تقل عنها بأساً ودورتني
كلخزوف فلم استطع ان اثبت امامها

« أراني الآله الذي استغثت به عندما حفت بي
المخاطر الهائلة فرجة في الصخرة وبها نجوت من الموت...
وقد لمحت ثمت الكأس معلقة في شعب المرجان التي منعها
من السقوط الى الاغوار السحيقة

« ابصرت تحتي اعماقاً لا قرار لها ولم تسمع اذني أقل

جلبة وارتعدت فرائصي عندما شاهدت الحيتان والتنانين
ووحوشاً غيرها جائلة في هذه الحفرة الجهنمية
« كنت ثم عديم النصير لا اسمع صوتاً آدمياً وحيداً
في مخبأئى المزعج أتأمل في هذه الوحوش الفظيعة وافكر
في حظي . فاقتربت مني مئات منها وهي تحاول ان تنقض
عليّ فتركت المرجان من الهول ثم ارتفعت الموجة وحملتني
الى سطح المهلك »

فنظر اليه الملك باعجاب وقال له : « هذه الكأس لك
وسأعطيك أيضاً خاتماً ذهباً مرصعاً بالاحجار الكريمة فجرب
النزول الى اللجج مرة ثانية ثم تعال اليّ لتحدثني عما رأيت »
فاصغت اليه الفتاة وارتسمت على وجهها عاطفة حنان
وقالت له بلهجة تسيل توسلاً وتعطفاً :

« اعدل أبت عن هذه التجربة القاسية فان هذا الشاب
أقدم على ما لم يقدم عليه آخر قبله ورجع من مكان لم يعد منه
حي قط »

وبينا هي تتكلم اذ رمى الملك القدح قائلاً : « ايها الفتى،

ان أتيتني به جعلتك من فرساني الأخصاء وزوجتك من
توسلت اليّ لأجلك »

فأنس غواصنا في نفسه قوة سماوية وتوقدت الشجاعة
في عينيه ولبح ابنة الملك وقد علت وجهها الحمرة ثم شحب لونها
فوقعت على العشب . فأراد ان يظفر بهذه المنحة الفتاة
فطوح بنفسه في الموج ليخوض غمار المنون مرة أخرى
أنشأ الناس يسمعون هزيم اللجج وينحنون وفرائصهم
ترتعد على حافة الهاوية فكانت اللجج تنتفخ وتزبد وتعلو
وتهبط ثم تعلو ولم تأت بالغواص

الانتظار

أأسمع الباب الصغير يفتح أم صرير المزلاج ؟ كلا ! بل
ذاك صوت الرياح التي تهب بين أشجار الحور فتترنم بحفيفها
أيتها الاوراق الخضراء تريني فانك ستلاقين اللطف
والجمال . أيتها الافنان هيئي مخبأ ظملاً يحميها في الليل
الصامت الخفي . تيقظ يا نسيم الصبا وامسح ورد خديها

بخطراتك حينما تقبل سائرة بخفة الى مواطن ينتظرها فيها
الهوى

صه صه ! ما هذه الجلبة التي أسمعها بين الحمائل ؟ انه
لطائر نافر هرب من هذا الايكة

اطفىء يا نهار سراجك الوهاج وتعال أيها الليل الهنيء
بأسرارك الحلوة وانشر حجبك فوق هاتيك الحقول
الارجوانية ونسيج الاوراق المشتبكة : فان الحب يتعد
حين صفوه وسعادته عن الآذان التي تنغمس في حمأة
الفضول وتسترق ما لا يعينها كما أنه يهرب من الضوء المسمم
الممل . وكوكب المساء الامين هو الذي تعهد اليه وحده
الاسرار

ما الذي أسمع هناك من همس أشبه بصوت خافت ؟
لا ، فذاك البجع يمرح فوق الماء الرائق ملتفًا كالحلقة
نعم شجبي يردده الهواء والينبوع يتفجر مأؤه بخير
لطيف والزهر ينحني من لثامات النسيم
ما لي أرى جميع السكائن تميل من نشوة المذات

وعنقود العنب يعطف على الخوخ اليانع الشهي المستتر بين
الاوراق والهواء الشذي يمتص حرارة خديّ المتهبين
أما سمعت وقع أقدام وراء الحرجة ؟ كلا ! فانها ثمرة
ناضجة سقطت من ثقلها

طفقت أشعة النهار تنعدم شيئاً فشيئاً حتى نصلَ لونها
وأخذت الازهار التي تخشى حرارة الشمس تتفتح في الشفق
الليل ثم أشرق القمر الفضي وظهرت الاشياء جلياً بعد
غموضها وحلت المناطق فتجلى جمال الطبيعة عارياً أمام
ناظري

تلك حلة بيضاء تلمع هناك أم ثوب من خز ؟ لا ، فما
هي الا العمد البيضاء ينعكس لونها على السور المظلم
أيها القلب الجزوع ! لا تصبُ الي لعب لا يجدي يصدر
من الغيد الحسان . امد ذراعي لمعانقة من أهوى فلا أجـد
فيهما شيئاً والخيال الغرور لا يقنع فؤادي . آتوني بقرّة عيني
ودعوني ألثم يدها الجميلة وانظر أطراف عباؤها وسأسلك
سبيل الحياة من طريق الاماني الخادعة

أقبلت ساعة الهناء العقيمة بسكينة كأنها هبطت من
أعالي السماء واقتربت الحبيبة العزيزة دون أن ترى، فایقظت
محبها بقبلها الحارة المنعشة

اقتسام الارض

(قال چوبیتیر) يوماً من عُلى عرشه للناس : « خذوا
الدنيا فهي لكم وامتلكوها وتمتعوا بكل ما اشتملت عليه وما
أوصيكم الا بالعدل والاخاء في القسمة »
هب الناس سراعاً وأقبل كل من يستطيع ان يحرز له
نصيباً من شبان وشيوخ، فاستولى الزارع على الحرث واختص
السري بالغاب واختار الراهب الصهباء المعتقة ووضع الملك
حواجز فوق القناطر وحول الطرق ونادى : « الخراج لي
وحدی »

انتهت القسمة من أمد بعيد وأقبل الشاعر من أقصى
الارض ولنكد حظه لم يبق شيء الا أصبح في حوزة مالكه.
فارتى أمام عرش رب الارباب متوسلاً شاكياً : « يالشقائي

وتعسي ! أياصبح أوفى أبنائك نسياً منسياً دون الناس كافة »
فاجابه : « لا تهمني ان ضللت في عالم الخيال والاماني :
اين كنت حينما اقسام الناس الدنيا »
— « كنت بجانبك اشاهد بهاءك منصتاً الى الانعام
العلوية . فاصفح عن عقل فتن بنورك فنسي نعيم الدنيا » فاجابه
بصوت جهوري رنان :

— « ليت شعري ما الرأي ما العمل ؟ قضي الامر
واقسمت الارض ووزعت الثمرات والصيد والاسواق
واصبحت ملكاً للناس . فلو شئت ان تأتني الى سمائي وتعيش
بجانب عرشي وجدت ابوابي مفتحة لك متى أردت »

(١) غضب شهسبون

بقلم الاستاذ محمد كامل حجاج

صحراء خرساء وسرادق منفرد فأى راع شجاع
نصبه في مفاوز الرمال والسباع؟ - لم يسكن الليل بعد وما
فتى الهواء ملتهباً من آثار حمارة القيظ وقد هبت ريح خفيفة
في الافق وجعدت ما انتشر من لجج العجاج كما تعبت
بوجه بحيرة رائقة راكدة وطفقت تداعب نسيج الخيمة
الابيض خفق من ملاعبتها وتأرجح . وكانت مشكاة من
بيض النعام ساكنة ساهرة فوق مسافرين ككوكب دري
وقد رمت ظالين طويلين منهما على نسيج الصيوان . أحدهما
كبير عظيم والآخر تحت قدميه ذليل حقير : وان هما الا
دلية ورقيقها الفتى القوي مغلول اليدين والركبتين بعدما
كان البأس والبطش طوع بنانه

جلست بجانب محبها كفهد جميل خفيف الحركة يروق
منظره ويروع مخبره وقد أسبلت غداً رها المسترسلة على

(١) لاكونت ألفريد دو ثيني

قدميه تنظره بعينين نجلاوين ناعستين توقدتا مما ارتسم
 فيهما من حب الشهوات التي يبتغيها طرفها المنبعث منه ضوء
 بهي متقطع كبرق خلب . وقد تصببت ذراعاها النقيتان
 الناعمتان عرقاً فاتراً وتربعت على رجلين شائقتين . لها عطفان
 مرتفعان يزريان باعطاف الغزلان . متحلية باساور وخواتم
 واقراط من ذهب . وقد زهت بلونها الاسمر كبنات
 (هطصور) ربة الجمال وتدلّت على نهديها تمام قديمة
 وضايقتهما حلل سندسية شامية

ضمت ركبنا شمسون بوثاق متين فأمسى يمثل
 (انويس) وقد غفلت عنه من أسرته ولبثت ضاحكة
 تؤرجحها يدها المسندة الى رأسها وتخاف من بطشها
 الاسود . أنشأ يتمم اليها بأناشيد الموت والآلام بلهجته
 العبرية فلم تفقه لغته الاجنبية ولكن الغناء جلب الى رأسها
 نعاساً ورنق في عينها مئنة وليست نائمة

« تنتشب حرب عوان في كل زمان ومكان . على بساط
 الصحصححان . وفي حضرة الملك الرحمن . بين طيبة الرجل

وخداع المرأة وهي مخلوق مدنس الروح والجثمان
 « ما فتى، الرجل في حاجة الى الملاطفة والحب وقد
 ارضعته أمه أفاويقهما منذ ظهر في عالم الوجود فكانت ذراعها
 أول من أرجحه وخدّره من الملاطفة والمسح فأشرب في
 قلبه الميل الى الحب وفتور الهمة . فتراه ان نعص في عمله أو
 كدر صفوه في مقاصده ونواياه حن الى الحضن الدافئ
 وأنشيد الليل وقبل السحر والشفة الملهبة بنار الحب البنوي
 التي كانت تنقض عليها شفته انقضاض النسر على فريسته .
 والشعر المنثور الذي كان يلتوي على جبينه . فان مشى وتعب
 عاودته ذكرى المهد فذهبت نفسه حسرات . وكلما شب
 وبسل زاد خذلانه وقهره كأنهر ما كبر واتسع الا وزاد
 اضطرابه وكثرت امواجه

« وحينما يكشر له القضاة عن انيابه الحداد ويشهر
 عليه هو وما أقلتة وأظلمته من العوالم حرباً يستعر لظاها
 ويشيب من هولها الولدان يضطرب لان يبحث له عن حضن
 يستريح فيه بعد نصبه وقبلة تكفكف ما انهمر من عبراته .

ولكنه قبل ان يتخلص من مصابه وأوصابه وما انهال عليه
من صنوف الاحن تشن عليه غارة اخرى خفية ملئت غدراً
وجبناً وتحتدم تحت ذراعه وفوق فؤاده وما اصلاها الا
المرأة وكل امرأة (دليلة)

« تضحك ظافرة بسماجة متقنة وتجلس بين اترابها
متباهية مفتخرة بأنها لم تكابد قط نيران الحب وتعترف
لأعز خليلاتها بان الناس يحبونها دون أن تعرف للحب معنى
وانها ترتعد من سيطرة الرجال

« انها لا تحب الا الملمات والرجل فظ قاس لا يهمه
الا ان يأخذ من الشهوات قسطاً وافراً دون ان يعلم كيف
يرده لغيره بدوره

« ان ضحية غالية يضرب بها الامثال لترفع شأن ربة
الجمال الفتاك الفتان في عين اترابها أكثر مما يعملها النضار
الوهاج فتعرف كيف تروي قدميها من دم ثمين مهدور
« اللهم اني لا أجد ما اتناه ! - وأصبحت من هي قبلة
الحب ومنبع الحياة تفتخر ان صارت لنا عدواً لدوداً وظلت

المرأة الآن أسوأ منها في الزمن الغابر الذي فيه تبرأ الباري من الناس . وسيرحلون في القريب العاجل الى دولة ممقوتة ويؤسسون هناك مدينة (عمورة) للنساء وبجانبها (سدوم) للرجال وينفصل كل من الجنسين بمعزل عن الآخر وينظران الى بعضهما شزراً من كذب الى ان يفني كل منهما في موطنه

« ايها الدائم قهار الجبارة ! انك تعلم ان نفسي لم يكن لها غذاء الا حب امرأة فاغترفت من حياض الهوى قوة وعزماً يفوقان ما منح شعري المقدس قلبي من السطوة والبأس - فاحكم بيننا وانت خير الحاكمين - ها هي نائمة على قدمي وقد باعت سري وحياتي ثلاث مرات سكبت في كل منها دمع المسكر والخداع فلم يدار حنقاً وكلباً يتلألآن في عينيها وتغلب خجلها على دهشها لافتضح أمرها وغفران ذنبها لان طيبة الرجل عظيمة قوية ولطفها عند المغفرة يقهر هذا المخلوق الضعيف الكاذب

« قد كللت ورزحت نفسي تحت أثقالها ومتاعبها

وأصبح جسدي العظيم ورأسي القادر القوي اللذان يستطيعان
أن يقلعا عمدا الفولا ذلا يقدر أن يحملها هي وهمومها
واتراحها

« ما برحت أنظر الأفي ذات اللون الذهبي زاحفة
في حمأها المسنون ظانة انها مجهولة متوارية . وهذا القرين
الذي ما زال قلبه مفعما شكاً وريباً هي المرأة بل الطفل
المريض بل الدنسة النجسة . تعمل جهدها في حفظ غضبها
بقلبها المهان كمثل محراب اضطربت فيه النار فالتهمت ما
حوله . وقد حرم عليها أن تنظر أو تبكي حتى أصبحت
قاسية القلب جامدة العين !

« رب ان هذا لا يطاق ! - وان سبقت مشيئتك به
فامتنى وارحني من هذا العالم . بحت بسري الى دليلة فباعته
وأذاعته فبارك اللهم في قدم سمعت اليّ لتندرنى بالموت !
ولتم ارادتك كما تشاء »

قال ذلك ثم نام بجانبها الى أن حانت الساعة التي ضربت
لحضور الفرسان فذعروا حينما دخلوا ذراه واشتروا شعره

بزنته ذهباً . وغلوا يديه وبقأوا عينيه بحديد محمي وقادوه
مخضباً بدمائه راسفاً في سلسلة ينوء عن حملها ستة أزواج من
الثيران . ثم أوقفوه صامتاً أمام الههم (داجون) الذي زار
بصوت مختنق ودار دورتين على قاعدته فاصفرت وجوه
الكهان من الرعب والذهل فاطلقوا البخور وأدبوا مآدبة
فاخرة سمع لغطها من أبعد جبل في المدينة وأجلسوا دليلاً
بجانب القربان المذبوحة تحت قدمي الههم وهي بني شاحبة
اللون متوجة محبوبه مليكة الوليمة فقالت وهي ترتعد : لن
يراني !

أيتمها الارض والسماء ! هل طرماً فرحاً حينما رأيتما هاتيه
الخليلة الكاذبة تتبع فريستها ناظرة بطرف وحشي الى عينيه
الغارقتين في دمائهما وهما تبحثان عن الشمس وهيهات
لما تمتناه ؟

ثم انتهى الامر بان تمطى شمسون بين العمادين الحاملين
لهذا الهيكل العظيم فهدمهما وانقض المعبد على أعدائه وعدتهم
ثلاثة آلاف فاهلكهم هم واربابهم ومحاريبهم

أيتها الارض والسماء ! هلا جازيتما بمثل هذا
القصاص العادل الغدر المدبر بحب كاذب كله تصنع ورياء
وافشاء سر قلوبنا الذي ترعته من بين أذرعنا قبل كاذبة
خادعة م

(١) بيتهموفن

بقلم الاستاذ محمد كامل حجاج

تكون ضفاف الحياة في بادىء أمرها باسممة مخضرة
نضرة ، شذية النسيم ، طيرها مغرد فوق أيكها ، تنبىء شمسها
المشرقة وراء أشجار الصفصاف يوم بهي هني ، بينا فللك
ماخر سائر الهوينا وأنت محسن الظن بغدك فتحمد بطأه
وينعم روحك وجسمانك برغد العيش الذي يرغب الناس
ويشوقهم الى الحياة

وعلى كذب منك الذين سبقوك في النهر وهم ينادونك
صائحين فلا تكاد أصواتهم تظهر من حفيف الاشجار وخرير
الماء الذي يؤرجح خمائل الخيزران
حذار أن تصبو نفسك الى هذه المذات التي تفتن
منك الحواس فانها خيالات وأشباح كاذبة لا تلبث أن تغيب
عن العيون

ان الذين مروا ليس لهم في شواطئهم غير ضغث مصفر
 محترق من العشب وأشجار قديمة جافة من التنوب وقليل من
 ماء لا يكاد يجري وبرك راكدة آسنة . يودون لو يضادون
 سير التيار وهيئات أن تستطيعه قوة انسان . يظنون أن
 ضفاف الحياة الموثقة ولت عنهم أو استحالت بعد بهاها
 كلا ! بل تجاوزوها وسيمر عليها بدورهم من سيأتون بعدهم
 الحياة مناطق : أمل ومتاع وحسرات ومهما عظمت
 قوتك فلا بد لك أن ترد ما ورده غيرك

تود أن تحقق بنبات وتستنشق ريانوره فيصداك التيار
 الجارف قائلاً لك تم ترحالك واذهب لشأنك . السرور باق
 على حالته وأنت أنت الذي فررت من جمال النبات وعرف
 الزهر وتعريد الطير . وسيقبل وراءك غيرك وان هي الا
 لحظة لا يكادون يتمتعون فيها مثلك ثم يمرون وقد ذهبت
 نفوسهم حسرات

ما أتم (استيفن) قوله الا وقام الى الموقد المستعر ليديف
 يديه وكان بالبهو جمع من الخلان فقال له أحدهم :

لا بد أن تكون خرجت هذا الصباح من دارك
برجلك اليسرى أو قلبك غراب البين لاني لا أبصر الا
وجوها كئيبة حزينة بجانب الموقد

كلا ! ثم لاح على وجهه تبسم خفيف لم يكده يظهر الا
واختفى كسحب الصيف لا تثبت أمام ذكاء . ثم قال : انني
خرجت راكباً فرساً ولم أصادف الا فتاة فتاة مع مجبها وهذا
قال حسن أجل من رؤية القمري . ولكن الذي يحزني نبأ
سمعه البارحة مساء

فتحولت اليه أنظار من حوله واشترأبت أعناقهم
هذا الخبر المشؤوم هو وفاة يتهوون وكانت في السادس
والعشرين من شهر اذار . فاكفهرت الوجوه أسفاً واستمر
(استيفن) في حديثه

لم يتمتع يتهوون مدى عمره الا بلحظة من السعادة
كلح البصر كانت عليه القاضية

عاش فقيراً معتزلاً الخلق لازدراءهم اياه فاحتدت
أخلاقه وطباعه من هذا الظلم المبين . وقد ألف من القطع

الموسيقية والاحان ما خلب العقول واسترق القلوب وما لم
يستطع غيره من الموسيقيين أن يأتي بمثاله أو ينسج على
منواله . كان يخاطب الناس بهذه اللغة الجميلة الفخمة . كما
تخاطبهم الطبيعة بانغام الهواء والماء وتغريد الطيور وما من
مصغ ولا سميع

ظل هذا النابغة مجهول القدر خامل الذكر الى حد أن
كان يشك في نبوغه وذكائه . ومن الغريب المدهش أن
(هيدن) الموسيقي الشهير لم يجد تعبيراً يظريه به غير قوله :
« كان ماهراً في التوقيع على الكلافسين » وكمثل من مدحوا
(چيريكو) المصور الطائر الصيت بقولهم : « كان يسحق
الاصباغ جيداً » والذين أثنوا على زعيم شعراء الالمان
(جوت) بقولهم : « لم يخطيء قط في الاملاء وكان
جميل الخط »

كان له صديق يسمى (هوميل) ولكن الفقر المدقع
والظلم المنكر أوغرا صدره وجعلاه حاد الطبع في بعض

الاحيان فكان ذلك داعية لنفورهما وافتراقهما . وقد كمل بؤسه
ومصائبه بذهاب سمعه

ثم انتقل الى (بادن) وعاش فيها والبؤس حليفه
والا نفراد أليفه لا يملك غير ما لا يكاد يقوم بحاجة . وكان
يقيم عقله في جمال غابة على مقربة من المدينة فتسعهده بنغمات
مدهشات فكتب ما كتب من روائع الموسيقى . وكانت
تصعد روحه الى عنان السماء وتتحول الى أنغام شجية تخاطب
الملائكة بلهجة طلية لم يفهمها الناس

وینما كان قليل الاشجان اذا اتاه كتاب اضطره الى
الخروج الى العالم من سجن عزله وكانت في انتظاره هموم
جديدة لم تدر بخلده اذ أرسل اليه ابن أخيه من (فينا) وكان
به معتنياً وله محباً لما ناله من بره وخيره يقول له انه مرتبك
في أمر منغص ولا ينجيه منه الا حضور عمه . فرحل اليه
وقطع جانباً من رحلته راكباً نعليه ليقتصد قليلاً من نفقات
سفرته . ثم ألقى عصا الترحال ذات ليلة أمام بيت صغير عتيق
واستضاف أهله لانه أمسى واهي القوى ولم يستطع أن يتم

طريقه فأكرموا وفادته وبعد تناول العشاء جلس بجانب
الموقد على كرسي رب البيت الذي قام وجلس أمام
(الكلافسين) وأخذ كل من أولاده الثلاثة آلة الموسيقى
وظفقوا يصلحونها ويوقفون بين أصواتها وكانت زوجته
وابنته تشتغلان بأعمال البيت . ثم اشترك الوالد مع أولاده في
في توقيع قطعة شائقة مما جادت به قرائح الالمان الغريزية
وفطروا له دون غيرهم . ويلوح أن ما ضربوه كان من الاهمية
بمكان اذ تفرغت اليها نفوسهم وأجسامهم وتركوا المراتان
عملهما وهرولتا الى سماع الموسيقى . وارتسم على وجوه الجمع
اضطراب يدل على أن بقلوبهم شيئاً كثيراً من متاعب
الحياة

لم يستطع يتهوثن أن يشاركونهم في مسراتهم لانه ما كان
يقدر أن يسمع نغمة واحدة لصممه بل أمسى يراقب حركات
الضرب ويقرأ عواطفهم المرتسمة على وجوههم المنبئة بتأثرهم
الشديد . ففكر في أفضلية هؤلاء الرجال على الموسيقيين
الاطالين واستحسن نظام آلاتهم

ولما انتهوا تصافحوا وانظارهم ناطقة بتبادل العواطف
وارتياحهم السعيد الذي يشعرون به وارتجت البنت مبلملة
الخدين بدمعها بين ذراعي والدتها
ثم تشاوروا في استئناف سرورهم وعادوا الى الموسيقى
وفي هذه المرة زاد اضطراب عواطفهم واغرورت أعينهم
اللامعة

فقال لهم (يتهوثن) أني سيء الحظ حيث لم يتسن
لي أن أقاسمكم هناءكم واني مولع مثلكم بالموسيقى وقد شاهدتم
أنني اصم ولا أستطيع ان أسمع حناً واحداً . فخبذا لو تفضلتم
وسمحتم لي بقراءة هذه القطعة الموسيقية التي أشجبت منكم
الافئدة

ثم تناول كراسه الموسيقى ولم يكده يقع عليها ناظراه
الا واكفهر وجهه ودارت عيناه في أم رأسه ووقفت انفاسه
ثم خانه الدمع وتسلسل من آماقه ووقعت الكراسه
من يده

لان هذه القطعة التي وقعها أهل البيت كانت

(لا ليجريتو) من انشاء (بيتهوثن) فدهش الحضور وأخذ العجب منهم كل مأخذ واستولت عليهم تهديدات تشنجية منعتهم من الكلام ثم قال ضيفهم : « انا بيتهوثن » فكشفوا رؤوسهم وغضوا أبصارهم احتراماً واجلالاً ومد لهم يده فجعلوا يلثمونها بشدة متيقنين أنهم في حضرة رجل أعظم قدراً من الملوك ، فخدقوا به ليقروا في وجهه سيما الذكاء والنبوغ ورأوا هالة من نور تحف جبينه . ثم مد اليهم ذراعيه فعانقه الاب وزوجته وأولاده وابنته . ثم نهض الى (السكلافسين) وأشار الى الشبان الثلاثة فاستعدوا لمشاركته وضرب بنفسه قطعته هذه التي سارت بذكرها الركبان . فيا لها من ساعة شبيهة هنيئة لم تسمع اذن مثلاً في العالم الموسيقى . ولما اتموا القطعة لبث بيتهوثن وحده أمام (السكلافسين) وارتجل قطعاً من أغاني الهناء وتمجيد الخالق كانت أعظم ما كتبه . ومر هزيع من الليل والكل مكب على استماعه . وكان هذا آخر أعماله ومنشأته .

ثم أجبر رب البيت ضيفه على قبول سريره ولكنه

وعكته الحمى ليلاً وتاقت نفسه الى الهواء الرطب عليه يطفئ
لهيبه فخرج لا يلوي على احد حافي القدمين الى الخلاء فرأى
الطبيعة تنبعث منها موسيقى شجية والريح تهز افنان الدوح
فتلاطم وتهب آذنة في ممر الدغل مزججة كاسرة ما تصادفه
في مهبها

فكث طويلاً ولما آب احس بقشعريرة وتلجج جسمه .
فبعثوا الى (قينا) يستدعون طبيباً فانبأهم انه مصاب
باستسقاء صدري وعالجه يومين فلم ينجع فيه دواء واخبرهم
بانه سيوافيه اجله المحتوم في القريب . فكانت لا تمر عليه
لحظة الا وانتقل من سبيء الى اسوأ

أخذته النزعة والحشرة وعاده صديقه القديم الوحيد
عندما سمع بمرضه وحمل اليه جانباً من المال ليستعين به في
سقمه ولكن لات حين اسعاد وعواد اذا اعتقل لسانه فنظر
اليه بطرف يشف عن الاعتراف بالجميل والمروءة . فحنا عليه
(هو ميل) ووضع في اذنه بوقاً وكلمه بصوت عال معبراً عن

توجهه وأسفه على مصابه لأنه ما كان يستطيع أن يسمع إلا
بهذه الطريقة

ثم ظهرت على (يتهوثن) علامات صحو الموت
وانتعاشه ففتح عينيه وقال (لهوميل)

« أما كنت المعيماً مسعداً بالمواهب الربانية والنفحات

العلوية ؟ »

فكانت هذه الكلمات آخر ما نطق به ثم سكن انسان

عينيه وانفتح فيه وفاضت روحه ودفن في مقبرة

(دوبلينج) م

متفرقات

الراغبة

رأيتها تسير بين الجموع وكأنها ليست منهم
تمزي الحزين وتواسي المصاب ، وليس من يعزيها أو

يواسيها

أخفي جمالها سواد ثوبها فظهر بياض قلبها بأعمالها
تجود بالاحسان على المحتاجين وتستقبل هزء الهازئين
وشماتة الشامتين بصمت الحكماء وابتسامة النافرين المشفقين
على وجهها جمال البشر . وفي نفسها جمال الآلهة
ملك هبط من السماء ليعلم الناس الصبر والمحبة والوفاء
في طرفها جهود وفي قلبها نار
ظاها طمأنينة وسلام وفي نفسها حرب عوان
جبارة تحارب العواطف والمواصف

في الليل تحلم بالحياة وفي الصباح تدفنها
تسير بين الناس وبينها وبينهم صوت الابدية الرهيب
في كمال نفسها تقص البشر وفي نقصها كمال الآلهة
زنبقة نبتت على ضفاف الحياة ولم تذوق طعم الحياة . ونبقة
غرست في اعماق كهف مظلم خربت حرارة النور وعناق
العاطفة

شبح اسود يسير ببطء خاف الدهور والدهر مسرع
على جناح البرق
سراج خطفت من صدر الحياة ودفنت بين طلاس
الابدية قبل الاوان
هذي هي الراهبة

اي خطب جليل

نهار الثلاثاء الواقع في ١٤ يناير (ك ٢) سنة ١٩١٩ توفي في بيروت شيخ الادباء وأديب الشيوخ المغفور له الشيخ اسكندر العازار الشاعر والخطيب والمنشئ والاقتصادي فرثاه صديقه بشاره افندي الحوري صاحب جريدة (البرق) بعبارات مؤثرة هذا نصها :

نقد السهم في صميم قلب الادب . فكأنما الجبل هوى
في البحر فملاً الفضاء رشاشه . وكأنما مستقر الكهرباء لامس
صدر كل أديب فأهواوا على صدورهم بأيديهم يمنعونها من
الخفوق — ذلك يوم قالوا : مات العازار ! . . .

لهفي ولهف الادب عليك !
ياراحلاً بلا وداع
وساكناً وكان ملء الاسماع
ومظلم الجفن وكان مبعث النور !

لهفي ولهف المنابر ! على عودها الزاوي

ونجمها الخالي . ونسرها الهاوي — قص الردي جانحيه !
لهفي ولهف الشعر !
على اطرب اوتاره
واطيب اسحاره
واجمل ازهاره ! . . .

* * *

لهفي ولهف الجرائد !
لا الحقول فيها زواهي
ولا الآيات بينات
ولا النكات مطربات
دهتها بعدك الدواهي فهي أرض موات

* * *

يا أمير اليراع في الشام . وحييب رجاله في كل مكان
يا نكمة الظرف ورونق البيان !
يا واسطة العقد من جيد المحامد !

يا لسان العرب الفصيح ووجه الادب الصبيح
سلام ورحمة الله يوم ولدت . ويوم مت . ويوم تبعث حيا !

واخجلتاه منك يوم ارثيك ؟
منك استعرت بياني
بك استنزلت إلهامي
واليك كان مرجعي في كل شائي
ها أنا ذا يا أخي ويا شيخني !
ها أنا ذا عند قبرك الهادي . في وحشة الليل وثوبه
اجثو على بلاط ضريحك وكتابي في يدي
وقلبي على شفتي
اودع في ذمة القبر . وذمة الليل - حي القديم ووفائي
القديم واخلاصي القديم !
نم برغمي آمنا في قبرك . آمنا في عزلتك . انعش الله
روحك . وآنس الطير ضريحك !
وفيا الصفصاف عليك من الجانبين

كلمات أسف

خليل مطران في رثاء اليازجي

أطلق عبراتك من حكم الوزن وقيد القافية

وصعد زفراتك غير مقطعة عروضا ولا محبوسة في نظام

قل وقد نظرت الى الموت وهو قاتل عامد

ما توحيه اليك النفس لدى رؤية أئمة الرائع

لاعتب على الحمام^(١) . هو الظلمة والحياة والنور

هو الاصل الازلي الابدی والنور حادث زائل

فاذا أزهـر شارق في دجنة فهو يكافحها وينافها

الى ان ينقضي سببه فيتضاءل ثم يتلاشى فيها

المائت وراء الميت . اتبكي ميتا وانت مائت

هل القطرات الهابطة في العمق دمة تجري اثر دمة

لئن مات اليازجي فقد مات من قبله النبيون
وماتت أم اهان الردي اعزاءها وصغرى كبراءها
فلم تبكون راحلاً أيها الراحلون أنتم بعده في خلود
أم هي دموع يقرضها السلف ليفيهم أياها الخلف
لا . . وانما نبكي منا بعضنا الذي ذهب مع الذهاب
نبكي مغائنا من انسه وعلمه واخلاقه
نبكي مفقودنا من معاهده في المكان والزمان
نبكي ما ألفناه من مشهوده ومسموعه

فيا من يكبر جزعنا على ابراهيم ان الميت يبكي بمقداره
وان النفس بما فطرت عليه من الكلف بمصالحها
لا تأسف على الشمس المتوارية بالحجاب
اسفها على أي نجم يتوارى ولو كان في فلكه شمساً

اكان اليازجي من ارواحنا بمنزلة الشمس من العيون
فيكون حدادنا عليه حداد الليل على النهار

نعم كان بعلمه كالشمس انارة واشراقاً
ولكنه كان كالروضة بافانين آدابها ومعارفه
سوى انه كان كالزهرة بوداعته وعرفه ونفع ما يعصر قلبه
ولم تكن اشعته جارحة للعيون بقبحتها وانما كانت بلسماً
للعيون

ولم تكن ثماره واشجاره تنسيق تجارة ولا زينة مفاخرة
ولم يكن عرفه دعوة للاعجاب به بل نسمة روح متذكية

شبح نحيل ضم قلباً رقيقاً وعقلاً كبيراً
فقدناه ففقدنا لغة في راع

فقدنا زهرة ذابلة تنذر بذبول الحديقة

فقدنا حديقة منجردة تنبئ بزوال الربيع

فقدنا ربيعاً انقضى به عصر في عمر رجل

فقدنا شمساً اطلعت ذلك الربيع وزانته بانوارها وأندائها
ثم غربت عنه بلا تدرج في الانتقال ومالت الى الشتاء

كانون الثاني (يناير) سنة ١٩٠٧

ما لا يعبر عنه

للمؤلف

اللفظ أنيق أنيق

والفكر عميق عميق

أما الشعور فلا يسبر له غور

ان في أعماق السرائر ما لا تظهره الكلمات

باطلاً نجهد قوانا لنصور للناس شعورنا

ففي الاعماق شيء اكبر من أن يتخذ اللفظ لباساً

هو مخبوء حتى على الشاعر نفسه

فعبثاً نجهد قوانا وباطلاً نذيب انقاسنا

خذوا هذه الفاظنا تنهال عليكم انهمال المطر

وهذه افكارنا تجسمت في الكلمات

أما شعورنا - ذلك الكنز المخبوء فلا نبوح به حتى

لأنفسنا

الشاعر والموسيقي والمصور
اسرار ثلاث تحاولون فهمها وتأبى الايام اظهارها
من ايوب اللاعن يومه ^(١)
الى هوميروس واصف اخلاق الآلهة
الى داؤود الضارع
الى نحميا النائح
الى الملك الضليل باكي الادراس
الى شكسبير محلل العواطف
الى ملتون واصف الفردوس
الى شعراء اليوم الذين يهيمون في كل واد
كل هؤلاء دفنوا وفي قلوبهم حسرة مما لم يستطيعوا
ان يعبروا عنه
والمصورون اولئك الذين يصعدون بنفهم الى ابعد

(١) المعروف عن المؤرخين ان سفر ايوب في الأصل قصيدة
عربية ترجمها موسى النبي الى العبرانية فان صح ذلك كان هذا السفر العربي
اقدم ما عرف من الشعر فهو سابق لالياذة هوميروس بالاف من السنين

ما يتصوره العقل ! ألم يدفنوا وهم يتعطشون ليزيدوا على
 قوس قزح لو نألم يوجد
 ترى اي شكل من الأشكال كان يوصلهم ابتكارهم
 لو توفقوا الى ما كانوا يتعطشون اليه
 واي لون خفي عنهم ؟

والموسيقيون ! اولئك الذين يذهبون بالشعور الى
 ابعد مداه ، ويمسسون العواطف باوتار اعوادهم فتخالهم يلعبون
 بالارواح لا بالانامل ، اي سر خفي عنهم واي نفمة لم تنصاع لهم

هؤلاء ثلاث يسرون بينكم وليسوا منكم
 هم يفهمون ضييجكم اما انتم فلا تفهمون اسرارهم
 حديثكم لا يتخطى دائرة ابصاركم
 أما هم فيحلقون الى ما وراء الطبيعة ولا يلحقون
 حديثكم عن المنظور وحديثهم عن غير المنظور
 اولئك هم الشعراء والمصورون والموسيقيون

ملاك الموت

هلم ايها الاب لتنظر ابنك للمرة الاخيرة
وانتِ ايتها الأم لتقبلي طفلك قبلة الوداع
وانتِ ايتها الأخت ويا أيها الاخ لتتنظرا اخاكما
لانكما لا تعودان تلعبان معه فيد الموت تريد ان تحتطفه
من بينكما

تعالوا جميعاً فان ملاك الموت قد بسط اجنحته على
فراش ملاكم الصغير

تعالوا فان الشمس التي كانت تطلع في كل صباح لتنير
ظلمة البيت كادت تغرب ولكن لا تعود للشروق
والزهرة النضرة التي كنتم تشتمون منها رائحة العطر
والجمال والطهارة قد امتد اليها منجل الموت

وفراشة البيت التي كانت تطير من هنا ومن هناك
فتملاً المنزل بهجة وسروراً ذاهبة الى موطنها الابدي لترم

مع الملائكة . انشودة للذي اوجدها

شبح هائل مخيف يخلق كالنسر على فراش الصبي
نعم هو ملاك الموت يطلب الوديعة ليرجعها الى
صانعها وخالقها

من تريد ايها الشبح وماذا تطلب من هذا البيت
ألا ترحم هذا الطفل وتشفق على قلب الاب
ألا ترحم هذه الطفولة الطاهرة
اقبلي عنه واجعل حياتي فداءً لحياته
فأشار ملاك الموت اشارة لو ترجمت لكانت اتبعني
نعم اتبعك - قال الاب ، وفي وادي ظل الموت
اسير معك

سر ايها الموت واجذبني وراءك فأجري

سار الخيال بسرعة البرق على اجنحة الرياح وحمل
الاب على جناحيه وسار به

مرّ به في الحديقة الجميلة التي كانت تحيط بقصره
واوقفه هنيئة تحت ظل الاشجار الباسقة التي زرعها

آباؤه

اراه الشجيرات الصغيرة التي زرعها بنفسه ولم يكن ثمرها
مرّ به على الحيطان التي لم يتم تنسيقها
اراه اساس البيت الصغير الى جانب قصره الذي اعدّه

لابنه البكر

مرّ به في الاسواق حيث يتلاعب الذكاء بالثروة
وهناك رأى بعيني رأسه الذهب يتناثر كالغبار
وما كادت عينه تتملى منه حتى اختطفه ملاك الموت
ولكن ! الى اين ؟ الى هوة عميقة لا يقبسها الزمن

ولا يحدها المكان

الى مكان مزدحم بالجماحم حيث لا يتبين الملوك
من السوق

الى المكان الذي يخيف الرجال كما يخاف الأطفال
من الظلام

رأى الاب ذلك فندم وطلب اليه ان يرجعه من
حيث أتى

فحمله ملاك الموت وفي لحظة انتهى حيث ابتداً

ورجع ملاك الموت محلقاً على سرير الطفل

ورجع الطفلان من المدرسة

فرايا ملاك الموت يخلق في جو البيت

من تريد ايها الشبح وماذا تطلب من هذا البيت

ألا ترحم الطفل

اي زهرة تريد اقتطافها

واي نور تريد اخماده

عجيباً ! أأعجبك هذا الجسم الغض

ألم تشبع من قديم الزمان بما تلتهم كل يوم

اقبلنا عنه واجمل حياتنا فداءً لحياته

حملهما ملاك الموت كل على جناح وطار بهما

مر بهما على مدرسة الأطفال حيث هناك يتجسم

الطهارة والبساطة

ورأيا الأطفال وكان الصباح قد خلع عليهما حلة وجوه
يجري فيها ماء البشر

وملابس كأنها فصات من قوس قزح
وحانت من الطفل التفاتة فرأى جانيت الصغيرة التي
اعتاد ان يلعب معها في اوقات فراغه
ولمحت الطفلة فؤاداً وكان قد ملك عليها فؤادها فعزّ
عليهما ان يتركا هذه اللذات

لذات الطفولة وبساطتها واحلام الشبيبة ومسراتها
أليس كل ما في الطفولة محبوباً
رأيا ذلك فندما وطلبا من ملاك الموت ان يرجع بهما
حيث أتى

وفي لحظة كان الطفلان في البيت

ورجع ملاك الموت محلقاً على سرير الطفل
فرأى امه جاثية عند سريره وسمعتها تقول :

عرفتك يا بني قبل ان تبعثك السماء الى الارض
وعرفتك قبل ان شمعت بازدواج الحياة في احشائي
وتخيلتك صغيراً قبل ان اراك وقبل ان أضفر لك من
الحياة اكليلاً

وها انا الآن اودعك قبل ان اعرفك

ان الحزن ساعة الموت اضعاف السرور ساعة الميلاد
يا لله ! ان كنت تريد ان تسلمني اياه وشيكا لما منجتيه
هل ندمت السماء على هذه العطية
ام الارض لا تستحق امثال هاته الملائكة
هل أخطأ هذا ام ابواه

من تريد ايها الشبح وماذا تطلب من هذا البيت
ألا ترحم هذا الطفل وتشفق على قلب الأم
اقبلني عنه واجعل حياتي فداءً لحياته

فاشار ملاك الموت اشارة ان اتبعيني

فحملها ملاك الموت وطار بها
وعبثاً اراها صورتها في المرآة
عبثاً طار بها الى مخازن الاقشة
عبثاً حملها الى نادي السيدات التي كانت هي رئيسته
عبثاً اراها سهرات الرقص وليالي الموسيقى
عبثاً حسن لها الحياة وجملها لها
ولما تعب ملاك الموت رجع بالأم الى البيت
ولكنه اختطف الطفل من بين يديها
فظلت أمه تبكيه وترثيه^(١)

(١) كنا قرأنا قصيدة بهذا المعنى للأريب مفرج افندي فاعجبنا
بمعناها ولما بحثنا عنها ولم نجد لها رأياً ان نكتب هذه القصيدة على نسقها
المؤلف

« She and he »

« هو وهي »

عن الانجليزية للمؤلف

قال : ايها (الحبيب) الذي ترنم لك فجر الحياة بنشيد
الحب فأسكرتك اغاريدته . تعال وانظر الفتاة التي احبها
قلبك ، كيف البسها الموت جلباباً من الاصفرار بعد ان
كستها الحياة حلة من البهاء كانت تغار منها ازهار نديسان
في ابهى حللها .

تعال لتنثر على هذا المحيا الذابل قبلات الوداع ، وتهمس
في اذنيها آيات الطهر والعفاف ، بل تعال لتندب ذلك الزمن
الذي بنت لكما الآمال فيه قصورها على الرمال

انظرها وقد تمددت على الارض كفارس ، وامتد
شعرها - ذلك الشعر الاسود الجميل - كأنه حسام الى جانبها .
انظر الى عينيها الزرقاوين كيف ابطل الموت آيات سحرهما ،
والى الوجه البهي كيف أطفئ سناه ، والى تلك الشفتين

الرققتين لعلهما تبوحان بأسرار لم يبح لك بها قلبها فدفت
معهما ، انظر اليها فقد القوا على وجهها ذلك البرقع الابيض ،
والبسوها الحذاء الذي كانت تريده في حياتها . . انظر ثم
ودع وأودعها كلما تريد قبل ان تفارقك

فنظر ولم ينطق ، تفرس ولم يتكلم ، شاهد ولم يجب ،
عرف كل شيء ، ولم ييك . أليست اللوعة تحرس الالسنه ،
ألم يكن السكوت لغة لا تطاوها بلاغة الكتاب
وتخيلات الشعراء ؟

ها قد صمت الجميع وساد السكون في الحجرة كأنهم
ريدون ان يصغوا الى صوت ضميرها ، ولا يعكروا عليها
صفوا احلامها ، خرج الجميع بهدو يسرون على اطراف
اصابعهم كأنها نائمة فلا يريدون ان يوقظوها . تركت وحيدة
في حجرتها ، تركها الجميع ومضوا بعد ان اغلقوا باب الحجرة

مضوا جميعاً ومضى خطيبها معهم ، مضى ولكنه ترك

هنالك قلبه وسرعان ما غافلهم ورجع لا ليرد القلب النائي عنه
بل عله يشفيه من أثر الصدمة التي أصابته وقلوب المحبين
أضعف من ان تتحمل اعاصير التجارب

ها قد أشعل سراجہ الضعيف وولج حجرتها سراً
نظير كاهن يتهيب دخول قدس الاقداس . وهناك لم يكن
الا « هو » و « هي » ولكن اين هي . لقد أسكت الموت
أنفاسها فلن تتكلم بعد . « هي » في عالم آخر مملوء بالاحلام
الليذة . هي في ظل وادي الموت مرجع كل حي

« هو » و « هي » ولكن « هي » ليست « هي » والا
فاله يخاطبها فلا ترد ، يقبلها فلا تبسم ، يهمس في اذنيها فلا
تصغي ، لا تتكلم ، ولا تسمع ، ولا ترثي ، ولا ترق ، ولا
تشفق ، هل ماتت ؟ نعم لقد ماتت ، ماتت

ايها الموت ! ألا يوجد في الكون لغة بين الاموات

والاحياء لتتفاهم ولو برهة قبيل الرحيل ؟ وهل صم الآذان ،
وعقد اللسان ، وجهود الاعضاء ، تمنع قلوبنا ان يتناجيا ونفسينا
ان تتقابلا ؟ هل لك ان تحدثني عن آمالها وأمانها اين
ذهبت ؟ ولاي ما جاءت « هي » من العدم والى العدم
ذهبت ؟ وما سر ذهابها المبكر فلم تلبث حتى نرى لها ثمراً
يملاً فراغها الذي تركته

هل قرأت في صحيفة الكون ان العالم « باطل وقبض
الريح » وان حياة الانسان أشبه بحياة الازهار ، نماء فزهاء
ففناء . او ان الكل في المسير فبادرت في الابدكار ، ام علمت
ان الحياة لا تستحق الاهتمام بهذا المقدار ! وهل سبحت
بروحها في جو اللانهاية واخترقت سحجف السماء فلمحت
هنالك موطنها الابدي حيث لا تعب فاسرعت اليه . وان
كان لها كل ذلك فلم لم تخترق اعماق قلبي لتري حبا كامناً في
زواياه لعله كان يمد في حياتها

ايتها الروح . هل لك ان تجييني عن بعض هذا فلقد
 مللت هذا الصمت ، قولي بربك ! فاني صاغ بعيني قلبي
 وروحي ، وان شوقي لسماع همسك أعلى من السماء وأعمق
 من الهاوية

ليت شعري من يخبرها عني ، وبأي لغة أتوصل اليها
 لا قول انك تركتني في وقت انا في مسيس الحاجة اليك ،
 فقد أصبحت ولا ائدس لي في هذا العالم الا الوحدة الجارحة
 والظلام المخيف

بل من يخبرها باني لو كنت انا الميت لما ضمنت عليها
 بهمس روحي ولو كان ملاك الموت يمسك انفاسي ؟ بل من
 يذكرها بقولها لي مرة ليس لقوة في العالم ان تفصل محبتنا
 ولا شيء أقوى من الموت
 لقد صدقت فان كان الموت قد فصل بين جسمينا
 فلن يقوى على الفصل بين روحينا

هو يعطي حبيبته نوماً^(١)

مرحلة كبيرة من مراحل الزمن اريد أن أقطعها فاي
مطية اركب واي السبل أسير

لست عاشقاً يفكر في محبوبته ولا انا طالب ثأر فلم
هذا الأرق ولما يسايرني هذا الحزن

لا حبذا هذه الصديق المكروه

قلت اسائر جبايرة الفكر قديماً وحديثاً لعل ما اودعوه
بطون كتبهم يفرّج عني وقت الى اصحاب الخيال وتنقلت
من الوصف الى الرثاء الى الغزل وعبثاً حاولت ابعاد هذا
العدوّ عني

ماذا ينفع الدرس لمن شرد فكره - خيل لي ان سطور
الكتاب دروب نمل لا تنفع الا عالماً يبحث في طبائع
الحشرات

(١) كتبت في ليلة على أثر حادث بسيط نسب فيه الى المؤلف
الاهمال في تأدية وظيفته ولكن أبي علام الغيوب الا ان تظهر الحقيقة

خرجت من خيمتي الى حديقة بسيطة نسقتها يد الطبيعة لا يد الانسان — يا لله ما لهذه الورود تنظر الي كأنها عيون لصوص تراقبني وما لهذا الجبل الصغير الذي كان بالأمس حارساً لخيمتي وحديقتي كيتيم صغير يندب والديه جلست على ضفة النيل ! أهذا هو النيل الذي كان يفشد للوادي نشيده الابدي ؟ وما لهذا الشلال الذي يعترض مجراه ينوح نواح الشكلى ؟ وقد كان كطفل يناغي أباه ؟ وما لأشعة القمر التي كانت كابتسامات الحب لمحجوبه كأنها دموع أسى يسكبها معي وعلي ؟ وما لهذه الأشجار التي كانت كعرائس يصفقن فرحاً بعد ان ارتدين ملابسهن السندسية كأنهن أعمدة من دخان ؟

سرت قليلاً الى الغابة القريبة مني وهناك جلست وحيداً حيث الأشجار الباسقات تبسط فروعها على الشجيرات الصغيرة والشجيرات تظلل الاعشاب النابتة وتمثل أممي العطف الذي لا تشوبه الشهرة الكاذبة وحب

الظهور — هذه الغابة التي طالما تسلقت اشجارها وأنصت الى
تغريد بلابلها وملأت العين بمناظر آسائها وفيلها وسرحت
الطرف بالنظر الى آرامها وغزلانها — وهذه الغابة — أصبحت
واذ بها شيء هائل مخيف كأنه يقصد ابتلاعي — أهكذا
تتبدل الاشياء في نظرنا اذا ما شابست النفس شائبة ؟

☆☆☆

ان للنفس الحساسة نزعات تثيرها أقل اساءة ربما كان
لكلمة لا تحرك عند الغير ساكننا
بل ربما لحركة لا يشعر بها الا من كانت نفسه يقظة
بل ربما لنظرة قد تكون للغير نعمة
حرام يا قوم ان تسيئوا الظن بما لا تعرفون
حرام اساءتكم لنفوس الشعراء فانها ليست من ماء وطين
ان كنتم لا تشعرون فخذوا من نفسه قبساً
ان كنتم نائمين فنفوسنا يقظة لا تعرف للنوم طعماً
آه كم اعاشر من الاصدقاء والاعضاء من لا يعرف
أفكارى والاراء

ربي هبني من لدنك نفساً ذليلاً مداهنة أعيش بها بين
 عبادك الذين خلقتهم على صورتك
 لا لا - اللهم لا تقبل دعائي - بل خذ حياتي قبل أن
 تستجيب طلبتي

اني اود ان اعيش حرًا واموت حرًا
 ذلك كل ما اريده في حياتي

ايتها النفس أليس لك من صديق هنا
 صديق ابث له الشكوى وامنحه هذا الفؤاد الحزين
 بكل ما فيه من ألم ويأس
 صديق ابكي أمامه ثم ابكي وابكي حتى ينضب ماء
 العين فاقطره قلبي دماً
 أليس في هذه البقعة انسان مثلي عواطفه كعواطفني وله
 آلام كالآلامي ام قد انفردت بهذا
 أليس هنا من يعزيني واعزيه واطعمه من غذاء روحي
 ويطعمني من غذاء روحه

لماذا تركت هنا وحيداً فريداً باكياً صارخاً من اعماق

القلب

اننا نشكو لمن لا يرحم ونتظلم لمن لا يعدل
فلن نسأل بعد انساناً لماذا ليس لنا صديق

انني ايتها الكآبة سأكون عبداً مخلصاً لك
سأنسى كل آلامي سأصبر على همومي واحزاني
سأكتم البلوى وادفن الشكوى واعلل النفس بالفرج

القريب

سابكي منفرداً ولا أضجر من شيء - سأحتمل كل
هذا بصدر رحيب - لانه ليس هنا من صديق
ولكن واحسرتاه اذا كانت هذه الامينة كاذبة
واحسرتاه اذا رجعت فتألمت وعدت فشكوت
واحسرتاه ان عدت وطلبت هذا الصديق ولما لم اجده
اصرخ قائلاً « أليس هنا من صديق »

ها قد رجعت الى الخيمة

وها هنا أُمّامي كتاب الكتب الذي لم افتحه مذ
وطئت أقدامي هذا القبر الذي يدعونه بلداً وهنا وجدت
الصديق ! ايوب ذلك البار الذي أُبتلي بما لم يُبتل به انسان
وتنقلت من ايوب اليأس الى رثاء ارميا الى امثال
سليمان الخالدة الى ان وقع نظري على قول داوود وقد
ضايقه اعداؤه

« هو يعطي حبيبه نوماً »

نعم ! هو يعطي حبيبه نوماً

وماذا نعطي نحن لاجبائنا

أيهب الشاعر قلمه لخدمة بلاده ! والمصور ريشته
ليرسم لنا بالالوان ما تعذر على الشاعر تصويره بالحروف !
والموسيقي انغامه يستنزل بها اصوات الملائكة الى الارض
ويستحضر بها الارواح الهائمة في الفضاء . والمحِب عواطفه
المكنونة لمحبوته

أجل ولكنه يعطي حبيبه نوماً

إذا استيقظت حوادث الأيام، وهبت أعاصير الآلام
واحاط الحزن بالنفس احاطة السوار بالمعصم - فانه يعطي
حبيبه نوماً

☆☆☆

إذا اساءه الآخرون ونصبوا له شباك الغدر وغلت
الصدور بنار الحقد وتفتحت اعينهم للايقاع به - فانه يعطي
حبيبه نوماً

☆☆☆

هو يعطي حبيبه نوماً حتى في النوم وهل يمنع النوم
الاحلام المزعجة من ان تتسرب اليه اذا دب ديب
الكرى في الاجسام. ففي اليقظة - يعطي حبيبه نوماً

☆☆☆

واذا غضبت السماء وامطرت الارض صواعق يشيب
لهولها الاطفال وزمجرت السحب ببروقها واخافت الجبال
فاهتزت رعباً وفتح البحر الكبير فاهه يريد ابتلاعها
فهو يعطي حبيبه نوماً

وانتم ايها الاصدقاء أصدقاء شبيتي ويارفقات صباي
 وطفواني اذا رأيتم هذه الذسمة خرجت من بين جنبي
 فاغمضت العينان وجهد اللسان ووقفت حركة اليدين ،
 استحلفكم بمن احببتم وبمن احببتن ألا تسكبوا دمة
 واحدة على هذه الجثة الباردة بل ليكن منكم منصف واحد
 يصرخ في الجمع المحتشد الواقف حول نعشي ان حبيبكم لم
 يميت

لانه يعطى حبيبه نوماً

البداءة

للشاعر الهندي رابندرناث طاغور

من كتابه The Crescent Moon

سأل الطفل أمه قائلاً كيف جئت يا أماء ومن اين !

واين وجدتي

فضمته الى صدرها كأنها تريد ان تدله على مكان مجيئه
واجابته وعيناها مغلفتان بدموع الشفقة كنت مخبوءاً في
فؤادي ممتزجاً برغائبه ومسراته يا بني

كنت مخبوءاً في لعبي الصببانية وفي كل شروق شمس
عندما كنت اجبل من الطين تمثالاً للالهة التي نعبد
كنت اصورك قبل ان أتصورك

وكنت وانت في عالم الغيب اعزك واجلك بل كنت
اعبدك كما لو كنت الهاً من آلهة آبائي
لقد كنت عائشاً بآمالي وحيي وحياتي كما كنت أعيش
بآمال التي ولدتني وحبها وحياتها

لقد أنشئت لك الروح الغير مائة التي ترفرف في البيت
حياة وأعزتك قروناً الى ان أوصلتك الى

وعند ما انفتح قلبي لنسيم الحياة وشعرت بحياة
جديدة كما تشعر كل فتاة كنت أشعر بك ترفرف حوله
فانت الذي فتحت لقلبي سبيل الحب كما يفتح النسيم الورد
عن اكمامها فينشر شذاها العطري ويملاً المكان رائحة
وطيباً

ان ذرات جسمك الدقيقة تجمعت في جسمي وكانت
تنمو بنمو شوي ياتي كما تنمو النجوم الصغيرة بنمو الشموس
الكبيرة

يا حبيب السماء الأول وتوأم النور السحري لقد
كنت طائفاً في حياة العوالم الحية تعوم من بحر الى بحر
ومن شاطئ الى شاطئ حتى رست بك سفينة عالمنا على
شاطئ قلبي

أي سرانت من أسرار السماء التي أوجدتك ملكاً

خاصاً لي يا بني بعد ان كنت ملكاً للجميع

تعال لا أضمك الى صدري أيها الحبيب - اني
لا أخشى القدر أن يختطفك من بين يدي - ولكن أي
قوة من قوات العالم تستطيع أن تفصلك عني أنت
يا حبيب السماء الأول ...

النهاية

له ايضاً

جاء الوقت الذي فيه أذهب يا أماه فها أنا ذاهب !
ها أنا ذاهب !

وعندما يلبس الكون الليل لباسه الأسود هناك على
فراشك ستمدين ذراعيك التي طالما طوقتني لتعانقي طفلك
الصغير فأقول لك : الطفل ليس هنا يا أماه ! الطفل ليس
هنا يا أماه

سأصير نسيماً عليلاً يقبلك في كل لحظة وعندما
تدخلين الحمام لتغتسلين سأ تغلغل في تموجات الماء المحيطة
بجسمك فأقبلك وأقبلك كثيراً

وإذا اشتد الظلام وعصفت الرياح وتساقطت نقط
المطر لتغسل أوراق الاشجار هناك وأنت متوسدة
فراشك الناعمة فاسمعي الريح فاني سأحمله سلامي وانظري الى

لمعان البرق الذي يدخل غرفتك من الكوى تري
ابتساماتي ممتزجة بالنور

واذا نمت مستيقظة تفكرين في طفلك الراحل عنك
وسهرت الليالي من أجله فسأرسل لك اغنيتي من وراء
النجوم منادياً نامي يا أماء نامي يا أماء

وعندما يتربع البدر في كبد السماء مرسلأ أشعته
الفضية الى أرضنا هذه سأدخل البيت واستريح على
فراشك الوثيرة واضعاً صدري على صدرك الحنون

سأكون يا أماء حليماً جيداً يدخل من فتحات
أهدابك واتغلغل في أعماق نومك وعند ما تستيقظين
سأتحول الى فراشة من نور تطن فاذا التفت لتنظري الى
سأتغلغل في الظلام

وفي العيد الكبير عيد (پوچا) متى اجتمع الاطفال
حول منزلنا يضربون على أنغام موسيقاهم سأسكب نفسي
في اللحن الشجي فيلمس قلبك

وعند ما تزورك خالتي في صباح العيد ومعها هداياها
ستقول لك أين طفلك يا أختاه قولي لها هو في انسان
عيني هو ممتزج بجسمي المائت - لا بل هو داخل روحي
التي لا تموت

مناجاة شاعر الطائر

To a sky lark

قصيدة للشاعر الانجليزي شيلي وتعريب المؤلف

إليك أيها الطائر الجميل المخلق في الفضاء ، بل أيتها
الروح الهادئة الساكنة قصور السماء ، المرتفعة عن كل
ما في العالم من تعاسة وشقاء . إليك أنت أنت أيها الطائر
الذي لا يهدأ ، بل من علو سمائه يسكب دماء قلبه الرقيق
فيسيل ألحاناً شجية يطرب لها الكون - إليك تحية وسلاماً

أيها الطائر - مالي أراك ترتفع عن هذا العالم - أترك
مزدريه أم ساءك ما تراه فيه من قوانين البشر ، أم أزعجتك
تلك الأصوات الكثيرة التي أرادت أن تقلد ألحانك
فترفعت عن سماع أصواتهم وارتفعت الى عالم آخر ذلك
الشفق الاحمر ، تريد أن تعزل هنالك شادياً كلما ارتفعت ،

ومرتفعاً كلما شدوت ، كأنك قطعة مجسمة من سرور
خالص طائرة في الجو لا تدري الى أين مصيرها

ها قد غبت عن الأنظار أيها الطائر الجميل ،
واستترت عن البصائر كما يستر النجمة الظاهرة لمعان
النهار ، ولكني لا زلت أسمع ذلك الصوت العذب الذي
لا يفتأ يملأ الجو بنغماته المتواصلة كالنجمة المتلألئة في ليلة
صفا أديمها تملأ الارض والفضاء من نورها الوضاء

ليت شعري من أنت وماذا تكون وبم أشبهك ؟
هل أنت روح الحسن مجسماً - وهل استترت من قطرات
الندى رقة ألحانك ، ومن قوس قزح رونق ألوانك ؟

ما أشبهك أيها الطائر بروح الشاعر الرقيقة المستترة
بنور من التصور الحقيقي والخيال السامي ! تلك الروح
المخبأة داخل شعاع من النور فترى ما لا يراه باقي الناس

وترسل اليهم من أساليب الحكمة وأناشيد الحب وبدائع
الوصف ما يحول أقسى قلوب البشر الى عواطف وجد
وأمل وشفقة ومحبة

ما أشبهك بعذراء طاهرة الذيل ، تيمها الحب
وأضناها الوجد فأصبحت في وحدتها فريدة تنشد لنفسها
أنشودتها التي لا تجد تسليمة سوى تكرارها وتكرارها
فتطرب الغير وهي لا تدري

ما أشبهك على أغصان قصر ك (الشجرة) بوردة
الربيع الممتلئة نوراً وبهاء مرّ بها النسيم العليل فالتأها على
الثرى ، ولما وطأتها أقدام البشر انتشر طيب شذاها فتعطر
الهواء بذكي أريجها الافيح . كذلك أنت يسجنونك في
قفص فنظرتهم - تبا للبشر - يسيئون اليك فتحسن اليهم .
هلا تعاملوا منك قول بارئك - « احسنوا الى الذين يسيئون
اليكم »

ما قطرات الندى على الازهار ولا خربير الماء في
البحار والانهار، ولا الجبال اكتست بذلك الثوب القطني
الجميل، ولا الأرض فرشها جمال الربيع بذلك البساط
الأخضر ليفوق بل ليحكي رقة ذلك الصوت : صوتك
الجميل

نحن نسمع نغمات الموسيقى فنطرب لألحانها الشجية
وأصواتها المنعشة ولكن سرورنا ينقصه شيء خفي في
نفوسنا لا نعلم ما هو - ولعله صوتك الجميل أيها الطائر
الكريم

قل لنا ما هي أسباب سرورك وهنائك ، وما مصدر
حبورك وبهجتك ، أهى الحقول الخضراء ، ام الاودية
الفسحاء، أم جمال جبال الشليج البيضاء ، أم رقة السماء وصفاء
الماء ؟ ام محبتك لبنات جنسك ، لا لعمرى هي ليست في

شيء من ذلك بل لانك لم تدرك معنى التعاسة والشقاء اللذين
ملئ بهما الكون

نحن (الشعراء) ننفق العمر بين حسرة الماضي وأمل
المستقبل ، وتذوب قلوبنا شوقاً لمن لا يوجد الا في عالم
الخيال - وان ألد ساعات صفونا لتتخللها الكآبة والحزن ،
بل ان أشجى أغانيها لهي تلك التي تعبر عن اكبر
الأشجان وأعظم الخطوب ، بل فتسمع العالم منا في أيام
محننا وأوقات مصائبنا ما لا يسمعه منا أيام فرحنا وأوقات
سرورنا - ولو كان في وسعنا أن نتطلع من نفوسنا أشواك
البغضاء والكبرياء والحسد والخوف - ولو فرض اننا خلقنا
للسعادة ومنها بحيث لا ندرك دمة واحدة من دموع
الشقاء لا أدري - مع ذلك - كيف نستطيع أن نقرب
من شاطئ السرور بينما نراك ترفع فيه

ان أحب شيء الينا أن ندرك طرفاً من أسرار

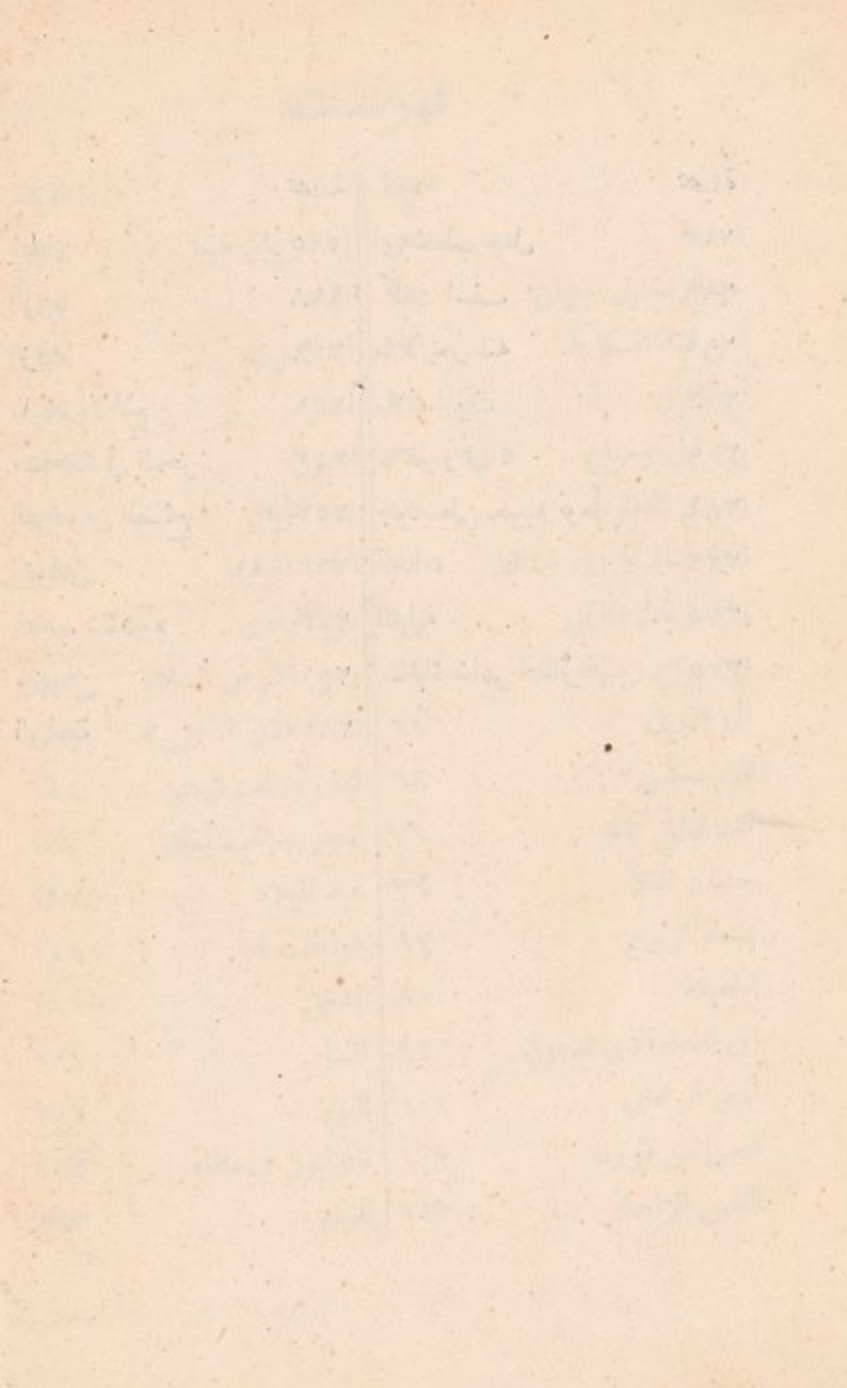
سعادتك - ايها الطائر الكريم - فليست ابحات العلم
وكتب الادب والشعر لتقربنا الى السعادة بل ربما زادت
شقاءنا - تالله لو كان للشاعر ان يدرك طرفاً من اسباب
صفوك ومصدر حبورك لكان ذلك أحب اليه من كل
ما اودع في بطون هذه الكتب من الكنوز

ايها الطائر! هلا عامتني جزءاً مما تعلم من هذه الاسرار
وما توحىه الينا من فك ولسانك مما تتغنى به صباحك
مساءك، اذن لانبعث من في من أناشيد الحكمة والحب
وضروب الفلسفة والشعر ما يجعل العالم لا يصغى الا الى
صوتي - كما اصغى الآن انا الى صوتك الجميل - ايها الطائر
الكريم تحية وسلاماً!

فهرست

صحيفة	صحيفة	مقدمة
١١٧	إنا غريبان ههنا	٥
١٢٣	فؤاد	١٥
١٣٨	انا الشرق	٢٤
١٤٩	مصر	٣٠
١٥٦	العيون	٣٦
١٦٠	فتاة الجبال	٤٥
١٦٣	الحياة الدفينة	٥١
١٦٨	على الوادي	٦١
١٧٣	وعلى الارض السلام	٦٤
١٨٢	الى « المثل الاعلى »	٦٦
١٨٤	لبنان يداعب البحر	٦٨
١٨٧	البحر يداعب لبنان	٧٦
١٩٢	عيد الميلاد	٧٦
١٩٤	عواطف ام	٨١
٢٠٠	الشفق	٨٦
٢٠١	المساء	٩٤
٢٠٢	النوم	١٠١
٢١٣	ناوليون في منفاه	١٠٢
٢١٣	النيل	١١٣
		جبران خليل جبران
		نحن ابناء السكّابة
		ايها الليل
		بين ليل وصباح
		يسوع المصلوب
		لكم لبنانكم ولي لبناني
		وابندونات طاغور
		بين صباح ومساء
		الى بحيري
		كلام معصّي
		محمد لطفي جمعه
		حديث العلا
		بسمه الربيع
		الحقيقة
		ابن العدل الذي تدعون
		امين الريحاني
		غصن من الورد
		النفس الراحلة

صحيفة		صحيفة	
٢٩٣	اي خطب جليل	٢١٥	يا ليل
٢٩٦	كلمات اسف	٢١٨	الورد
٢٩٩	ما لا يعبر عنه	٢١٩	انزابلا
٣٠٢	ملاك الموت	٢٣٦	مأساة الالام
٣٠٩	« هو وهي »	٢٤٢	مشاهدة في البحر
٣١٤	هو يعطي حبيبته نوماً	٢٥٢	الفردوس الضائع
٣٢٢	البداءة	٢٦٣	الغواص
٣٢٥	النهاية	٢٧٣	غضب شمشوم
٣٢٨	مناجاة شاعر الطائر	٢٨١	يتنهوفن
		٢٩١	الراهبة



DATE DUE

سلامة، حبيب

الشعر المنثور

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01037112

American University of Beirut



General Library

